الألوكة
www.alukah.net

سلسلة كيف نفهم القرآن

تفسير سورة البقرة
بأسلوب بسيط جدا

رامي حنفي محمود

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سلسلة كيف نفهم القرآن؟ (*)

(تفسير سورة البقرة بأسلوب بسيط جداً)

1. تفسير الربع الأول من سورة البقرة

الآية 1: ﴿الم﴾: هذه الحروف – وغيرها من الحروف المُقطَّعَة في أوائل السور – فيها إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم، فقد تَحَدَّى اللهُ به المشركين، فعجزوا عن مُعارَضَتِه، مع أنه مُرَكَّب من هذه الحروف التي تتكون منها لُغَتُهُم، فدَلَّ عَجْزُ العرب عن الإتيان بمثله – مع أنهم أفصَحُ الناس – على أنّ القرآنَ وَحْيٌ من عند الله.

الآية 2، والآية 3: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ – وهو القرآنُ – ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي لا شَكَّ في أنه حقٌ مِن عند الله، فلا يَصِحّ أن يَرتابَ فيه أحدٌ لوضوحه، ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي يَنتفع به المُتقون بالعلم النافع والعمل الصالح.

♦ وهؤلاء المُتقون هم ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾: أي الذين يُصَدِّقون بكل ما غابَ عن حَواسِّهم مِمَّا أخبرَ به الرُسُل، (واعلم أنّ الإيمان: هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذا التصديق يكونُ إقراراً بالقلب، وقولاً باللسان، وعَمَلاً بالجَوَارح (والجَوَارح هي أعضاء الإنسان))، ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: أي ويُحافظون على أداء الصلاة في أوقاتها أداءً صحيحًا (مُوافِقًا لِمَا كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم)، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ – مِن أنواع المال – ﴿يُنْفِقُونَ﴾: أي يُخرِجون صَدَقة أموالهم الواجبة والمُستحَبة.

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 4: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أيها الرسول من القرآن والسُّنَّة، ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أي ويُؤمنون بالكتب التي أُنزِلَت على الرُسُل الذين مِن قبلك، كالتَوْراة والإنجيل وغيرهما، ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: أي ويُصَدِّقون – تصديقاً جازماً – بالحياة الآخرة وما فيها من الحساب والجزاء، (وقد خَصَّ اللهُ الإيمانَ بالآخرة؛ لأنَّه مِن أعظم المُحَفزات على فِعل الطاعات، واجتناب المُحَرَّمات، ومُحاسبة النفس).

الآية 5: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى من ربهم﴾: يعني على نورٍ من ربهم، وبتوفيقٍ مِن خالِقِهم وهادِيهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

الآية 6: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يقعُ الإيمان في قلوبهم، وذلك لإصرارهِم وعنادِهِم مِن بعد ما تبَيَّنَ لهم الحق.

الآية 7: ﴿خَتَمَ﴾: أي طبعَ ﴿اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: أي وجعل على أبصارهم غطاء، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

الآية 8: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾ بلسانه: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾: أي وهم في باطِنِهم كاذبونَ لم يُؤمنوا (وهؤلاء هم المنافقون الذين يُظهِرونَ الإيمانَ للناس، ويُخفونَ الكُفرَ في صدورهم).

الآية 9: ﴿يُخَادِعُونَ﴾: أي يَعتقدون بجهلهم أنهم يُخادعونَ ﴿اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ﴾ لأنّ عاقبة خِداعِهِم تعودُ عليهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يَخْدَعُونَ أَنفُسَهُمْ، وذلك لفساد قلوبهم.

الآية 10: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي شكٌّ وفسادٌ وشهوات ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (لأنهم لا يُريدون التوبة مِمَّا هم فيه)، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

الآية 11: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي، وإفشاء أسرار المؤمنين، ونُصرة الكافرين ومَحبتهم ﴿قَالُوا﴾ – جِدَالاً وَكَذِباً –: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 12: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ لأنَّ ما يَفعلونه – ويَزعُمون أنه إصلاح – هو بذاتِهِ عَينُ الفساد ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك لِجَهْلِهم وعِنادهم.

الآية 13: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ أي آمِنُوا – مثل إيمان الصحابة (وهو الإيمان بالقلب واللسان والجَوارِح) –، ﴿قَالُوا﴾ – جِدالاً واستهزاءً –: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ أي ضِعاف العقل والرأي؟، فرَدَّ اللهُ عليهم بقوْلِه: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ ﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ما هم فيه هو الضَلال والخُسران المُبين.

الآية 14: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾: يعني وإذا انفردوا بزعمائهم الكفرة المتمردين: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ أي نستخِفُّ بهم، ونسخرُ منهم.

الآية 15: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: أي يُمْهِلُهُم ليَزدادوا ضلالاً وحِيرَةً وتردُّداً.

الآية 16: ﴿أُولَئِكَ﴾ المنافقون هم ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ أي استبدلوا ﴿الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ لأنهم باعوا أنفسهم في صفقةٍ خاسرة، حيثُ استبدلوا النعيمَ المقيم بالعذاب الأليم، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الرُّشد والصواب.

الآية 17: ﴿مَثَلُهُمْ﴾: أي مَثَلُ هؤلاء المنافقين مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾، وهذه النار – في نورها – مِثلُ رسالة محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾: أي فلَمَّا أضاءت رسالته الدنيا بنورها: آمنوا بها، ثم كفروا فـ ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ وهي ظُلُمات ضَلالهم ﴿لا يُبْصِرُونَ﴾.

الآية 18: ﴿صُمٌّ﴾ عن سَماع الحَق، ﴿بُكْمٌ﴾: أي خُرْسٌ عن النُطق به، ﴿عُمْيٌ﴾ عن إبصار نور الهداية، ﴿فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾: أي فلذلك هم لا يستطيعون أن يَرجعوا إلى الإيمان الذي تركوه – بعد أن عرفوا أنه الحق –، واستبدلوه بالضَلال.

الآية 19: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾: يعني أو مَثَلُهُم كَمَطَرٍ شديدٍ نازلٌ مِنَ السَّمَاءِ ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ المُحرقة والرعد القاصِف ﴿حَذَرَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿الْمَوْتِ﴾: أي خوفًا من الهلاك، وهذا هو حال المنافقين: إذا سمعوا القرآن، جعلوا أصابعهم في آذانهم، وأعرضوا عن أمْرِهِ ونَهْيِهِ وَوَعدِهِ وَوَعِيدِه، فهم يُعرضون عنه غاية ما يُمْكِنهم، ويَكرهون سَماعَهُ مِثل كراهة الذي يَسمع الرعد ويَخافُ منه، ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، فهُم لا يُعجزونه سبحانه، ولكنه يُمهِلُهم، ثم يأخذهم أخْذَ عزيزٍ مُقتدِر.

الآية 20: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾ مِن شدة لَمَعانه ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾، ومع ذلك فـ ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾: أي مَشَوْا في ضوءِه، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي وقفوا في أماكنهم مُتحيِّرين، وهذا هو حال بعض المنافقين: يَظهر لهم الحق أحياناً، ثم يَشُكُّون فيه أحياناً أخرى، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾: أي ولولا إمهال الله لهم: لَأخذَ سَمْعهم وأبصارَهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يُعجزُهُ شيء.

الآية 21، والآية 22: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي وخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (وهذا يَدُلّ على أنّ كَثرة العبادة هي الطريق للوصول إلى التقوى، وإلى درجة المتقين).

♦ وهو سبحانه ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾: أي بِساطًا لِتَسهُلَ حياتكم عليها، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ أي مُحكَمة البناء، ﴿وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾ من جميع أنواع الفاكهة والخضروات والحُبوب، ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ أي نُظَرَاء له في العبادة، ﴿وأنتم تعلمونَ﴾ أنه وحده الخالق الرازق المستحق للعبادة.

الآية 23: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ أي مِثل هذا القرآن في أسلوبه وهدايته، ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾: أي وادعوا مَن تقدرون عليه مِن أعوانكم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، فإذا عجزتم عن ذلك – وأنتم أهلُ البَراعة في الفصَاحة والبَلاغة – فقد عَلِمتم أنَّ غيرَكم أعْجَزُ مِنكم عن الإتيان بذلك.

الآية 24: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾: يعني فإن لم تأتوا بسورةٍ مِثل سور القرآن، ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾: أي ولن تستطيعوا الإتيان بها ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ (وذلك بالإيمان بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، وبطاعة الله)، واعلموا أنّ هذه النارُ ﴿الَّتِي وَقُودُهَا﴾ أي حَطَبُها ﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قد ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

♦ واعلم أنّ قولَه تعالى: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾: فيه إثارةٌ لِهِمَمِهِم، وتحريكٌ لِنُفوسِهِم، ليكونَ عَجْزُهُم بعدَ ذلكَ أبدَع (وهذا مِن الغيوب التي أخبرَ بها القرآن قبلَ وقوعِها).

الآية 25: ﴿وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جناتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أي حدائق عجيبة، تجري أنهارُ الماء والعسل واللبن والخمر مِن تحت قصورها العالية، وأشجارها الظليلة، و ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي قد رَزَقَنا اللهُ هذا النوع مِن قبل في الدنيا، ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾: يعني ورغم أنه متشابه مع سابقِهِ في اللون والمَنظر والاسم، إلاَّ إنهم إذا ذاقوهُ: وجدوهُ شيئًا جديدًا في طعمه ولذته، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من كل أنواع الدَنَس الحِسيِّ كالبَول والحَيض، وكذلك مِن الدَنس المعنوي كالكذب وسُوء الخُلُق، ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

2. تفسير الربع الثاني من سورة البقرة (*)

الآية 26، و الآية 27: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ – مِن أجل إظهار الحق – ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا﴾ قَلَّ أو كَثُر، ولو كان ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾: أي ولو كانَ تمثيلاً بأصغر شيء (كالبعوضة والذباب ونحو ذلك) مِمَّا ضربهُ اللهُ مَثلاً لِإظهار عَجْز كل ما يُعْبَد مِن دونه، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي يَعلمون حِكمة اللهِ تعالى في ذلك فيزدادوا بهِ إيماناً.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ﴾ على سبيل السُخرية: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾: يعني ماذا أرادَ اللهُ مِن ضَرْب المَثَل بهذه الحشرات؟، ويُجيبهم سبحانهُ بأنّ المُراد مِن ضرْب هذه الأمثال هو تمييز المؤمن من الكافر؛ فلذلك أخبر بأنه ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ أي يَصرف بهذا المَثل كثيراً من الناس عن الحق لِسُخريتهم منه، ويُوَفِق به غيرهم إلى مَزيد من الإيمان والهداية، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: يعني واللهُ تعالى لا يَظلم أحدًا؛ لأنه لا يَصْرِف عن الحق إلا الخارجين عن طاعته.

♦ وهؤلاء الفاسقون هم ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ أي مِن بعد عَهْدِهِ الذي أخَذَهُ عليهم بتوحيدهِ وَهُم في ظَهر أبيهم آدم (وقد أكَّدَ سبحانه هذا العهد بإرسال الرُسُل وإنزال الكُتب)، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ كقطع الأرحام، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالكُفر والمعاصي وغير ذلك من أنواع الفساد، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في الدنيا والآخرة.

الآية 28: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾: يعني كيف تُنكِرون أيُّها المشركون وحدانية اللهِ تعالى رغم الدليل القاطع عليها في أنفسكم؟ فلقد كنتم أمواتًا – وأنتم في العَدم – فأوجدكم ونَفَخَ فيكم الحياة، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بعد انقضاء آجالكم التي حَدَّدَها لكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يوم البعث، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للحساب والجزاء.

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 29: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مِن النِّعم التي تنتفعون بها، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾: أي قَصَدَ إلى خلق السماوات ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فعِلْمُه سبحانه مُحيطٌ بجميعِ ما خلق.

الآية 30: ﴿وَإِذْ﴾: أي واذكر حينَ ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خليفة﴾ أي قومًا يَخلُفُ بعضُهم بعضًا لعمارة الأرض، ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: أي نُنَزِّهُكَ التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: أي ونُمَجِّدك بكل صفات الجلال والكمال، ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

الآية 31: ﴿وَعَلَّمَ﴾ سبحانه ﴿آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أي أسماء المَوجودات كلها، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي عَرَضَ هذه المَوجودات ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنكم أَوْلَى من آدم بالاستخلاف في الأرض.

الآية 32: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أي نُنَزِّهُك يا ربَّنا عما لا يَليقُ بك، وإنه ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بشئون خَلْقك، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرك وصُنعِك، تَضَع الأشياءَ في مَواضعها.

الآية 33: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي بأسماء هذه الأشياء التي عَجَزوا عن مَعرفتها، ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ﴾ آدم ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ ﴿قَالَ﴾ اللهُ للملائكة: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ما خَفِيَ عنكم في السماوات والأرض، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: يعني وأعلم ما تُظهِرونه، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ في صدوركم مِن أنكم أَوْلَى مِن آدم بالاستخلاف في الأرض؟ إذاً فَسَلِّموا لأمْري وارضوا بحُكمي وقضائي، لأني أعلم ما لا تعلمون.

الآية 34: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أي واذكر – أيها الرسول – حين قال اللهُ للملائكة: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ إكرامًا له وإظهارًا لفضله، ﴿فَسَجَدُوا﴾ جميعًا ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الذي كان يَعبُدُ اللهَ معهم ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾: أي امتنع عن السجود تكبُّرًا وحسدًا، ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي فصارَ بذلك من الجاحدين باللهِ تعالى، العاصينَ لأمره.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 35: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾: أي وتمتَّعا بثمارها تمتُّعًا هنيئًا واسعًا ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: يعني في أي مكانٍ تشاءانِ فيها، ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي المُتجاوزينَ لحدود الله.

الآية 36: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾: يعني فأوقعهما الشيطان في الخطيئة فأبعدهما عن الجنة، ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم، ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يعني (آدم وحواء) يُعادون الشيطان، والشيطان يُعادِيهما، ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي مكانُ استقرار، ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾: أي وانتفاعٌ بما في الأرض إلى وقت انتهاء آجالكم.

الآية 37: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ ألهَمَهُ اللهُ إيَّاها توبةً واستغفارًا، وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾، ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: أي فقبِلَ توبته وغفرَ له ذنبه ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

الآية 38: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾: أي وسيأتيكم - أنتم وذرياتكم - ما فيهِ هِدايتكم إلى الحق، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يَستقبلونه مِن أمر الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا.

الآية 39: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأدلة توحيدنا ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الواضحة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي الذين يُلازِمون النار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الآية 40: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ - وإسرائيل هو يَعقوب عليه السلام -: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ واعلم أنّ هذا العهد الذي أخذه اللهُ عليهم هو المذكور في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾: يعني وإيَّايَ - وحدي - فخافوني، واحذروا نِقمتي إن نقضتم العهد.

الآية 41: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ - وهو القرآن - ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾: أي وهذا القرآن مُوافِقٌ لِما تَعلمونه مِن صحيح التَوْراة، ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ مِن أهل الكتاب، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾: أي ولا تستبدلوا بآياتي ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِن مَتاع الدنيا ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 42: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: أي ولا تَخلِطوا الحقَّ الذي بَيَّنتُهُ لكم بالباطل الذي افترَيْتموه، ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾: أي ولا تكتموا الحق الصريح مِن صفة نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها موجودة في الكتب التي بأيدِيكم.

الآية 43: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: أي وادخلوا في دين الإسلام: بأن تقيموا الصلاة على الوجه الصحيح – كما جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم –، وتؤَدُّوا الزكاة المفروضة على الوجه المشروع، وتكونوا مع الراكعين مِن أُمَتِهِ صلى الله عليه وسلم.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

3. تفسير الربع الثالث من سورة البقرة (*)

الآية 44: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ أي بفِعل الخيرات، ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تأمروها بالخير العظيم وهو الإسلام ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: يعني وأنتم تقرؤون التَوْراة التي فيها صفات محمد صلى الله عليه وسلم، ووجوب الإيمان به ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾؟! (وفي هذا تحذيرٌ لكل مَن يأمر الناس بطاعةٍ معينة ثم لا يَفعلها مُطلقاً، أو يَنهاهم عن المنكر ثم يَفعله).

الآية 45، والآية 46: ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ في كل أموركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ وتسلَّحوا به، فإنه مَا أُعطِيَ أحدٌ عطاءً أوسع من الصبر، (واعلم أنّ الصبر ثلاثة أنواع: صبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية، وصبرٌ على ما يُصيب العبد مِن مِحَنٍ وبَلاءٍ لتكفير ذنوبه أو رفع درجاته)، فعلى الإنسان أن يَتذكر أنّ بلاءَ اللهِ عَدل وأن عافيته فَضْل، فإذا ابْتُلِيَ بشيءٍ فعليه أن يُسارع بأن يقول: (الحمدُ لله، بذنوبي، أنا أستحق أكثر من ذلك، هذا عدل) فهذا مِمَّا يُعِينُهُ على الصبر.

﴿وَالصَّلَاةِ﴾: أي واستعينوا بالصلاة على قضاء حَوائجكم وتفريج كُرُباتكم، ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي ثقيلة على النفوس ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي يُوقِنون ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ بعد الموت ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يوم القيامةِ للحساب والجزاء.

♦ واعلم أنّ الخُشوع هو الذل والخوف من اللهِ تبارك وتعالى، فالخاشعون ذليلون مِن كَثرة النعَم، وذليلون أيضاً من كثرة الذنوب، وهم الخائفون من المَلِك الجبار الذي سَيَحكم عليهم بجنة أو بنار.

الآية 47: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أي وتذَكَّروا أني فَضَّلْتكم على عَالِمِي زمانِكم بكثرة أنبيائكم، وما أُنزلتُ عليهم من الكُتب.

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

- واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 48: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً﴾ – وهو يوم القيامة – حيثُ ﴿لا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ أي لا تُغني نفسٌ ﴿عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ إلا بإذن الله، وكذلك إلا لِمَن ارتضاهُ اللهُ أن يُشفَعَ له (كما ذكَرَ اللهُ ذلك في آياتٍ أخَر)، ﴿وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: أي وَلا يُؤْخَذُ منها فِدية تُنجيها من العذاب، ﴿وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: أي ولا يَملِكُ أحدٌ في هذا اليوم أن يَتقدم لنُصرَتِهم وإنقاذهم من العذاب.

الآية 49: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أي واذكروا حين أنقذناكم مِن بَطش فرعون وأتباعه، فقد كانوا ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أي يُذيقونكم أشدَّ العذاب، فـ ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: أي ويَتركون بناتكم أحياءً للخِدمة والإهانة، ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: أي وفي ذلك اختبارٌ لكم من ربكم، وفي إنجائكم مِنْهُ نعمة عظيمة، تستوجبُ شُكرَ اللهِ تعالى في كل عصوركم وأجيالكم.

الآية 50: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾: أي واذكروا حينَ قطعنا لكم البحر، وجعلنا فيه طُرُقاً يابسةً ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي وقد حدث ذلك أمام أعينكم.

الآية 51: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لإنزال التوْراة (هِدايةً ونورًا لكم)، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي ثم انتهزتم فرصة غياب موسى، وجعلتم العجل الذي صنعتموه بأيديكم معبودًا لكم من دون الله، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذكم العجل إلهًا.

الآية 52: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾: أي ثم تَجاوَزنا عن هذه الفِعلة المُنكَرَة، وقَبِلْنَا توبتكم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي مِن بعد عَودة موسى إليكم؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ربكم على نِعَمِهِ وأفضاله.

الآية 53: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ أي الكتاب الفارق بين الحق والباطل ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ من الضلالة.

الآية 54: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ أي إلى خالقكم، ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ وذلك بأن يَقْتل بعضكم بعضًا، ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ من الخلود الأبدي في النار، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: أي فامتثلتم ذلك، فقَبِلَ اللهُ توبتكم ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 55: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي عياناً بالبصر، ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾: أي فنَزَلتْ نارٌ من السماء رأيتموها بأعينكم، فقَتَلَتْكم بسبب ذنوبكم، وجُرْأتكم على الله تعالى.

الآية 56: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: يعني إنّ هذا الموت كانَ عقوبة لكم، ثم بَعثكم الله لِتَستَوفوا آجالكم التي قدَّرَها لكم في اللوح المحفوظ، و ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ربكم، لأنه أحياكم بعد أنْ أماتكم.

الآية 57: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾: أي وجعلنا السحابَ مُظلّلاً عليكم من حَرِّ الشمس، ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ وهو شيءٌ يُشبهُ الصَّمغ وطعمُهُ كالعسل، ﴿وَالسَّلْوَى﴾ وهو طائرٌ يُشبه السّمانى، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ﴿وما ظلمونا﴾ بكُفران النعم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأنّ عاقبة ظُلمهم ستعودُ عليهم.

الآية 58: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ وهي مدينة بيت المَقدس، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً﴾ ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ أي باب القريةِ ﴿سُجَّداً﴾: أي وكونوا في دخولكم خاضعينَ لله، ذليلينَ له، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: أي نسألك يا رَبّ أن تَحُطَّ عنا ذنوبنا، فإنْ تفعلوا ذلك: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ مِن خَيرَي الدنيا والآخرة.

الآية 59: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من بني إسرائيل ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ واستهزءوا بدين الله، ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً﴾: أي عذابًا ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي بسبب تَمرُّدهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

4. تفسير الربع الرابع من سورة البقرة (*)

الآية 60: ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ أي طلب لهم السُقيا من الله تعالى بتضَرُّع، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد قبائل بني إسرائيل الاثنَي عَشَر، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾: أي قد عَلِمَت كلُّ قبيلةٍ منهم مَوضِعَ شُربِها، وقلنا لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلا تَعْثَوْا﴾: أي وَلا تسعوا ﴿فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

الآية 61: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ وهو المَنّ والسلوى، ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا﴾ – والقِثّاء هي الثمرة المعروفة بالـ (قَثّة) –، ﴿وَفُومِهَا﴾ وهو الثوم، ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ ﴿قَالَ﴾ لهم موسى مُنكِراً عليهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أي أقلّ في القيمة ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾؟! ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ أي اهبطوا أيّ مدينة، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾: أي فستجدون ما طلبتم في الحقول والأسواق، (فلمَّا هبطوا: تبيَّن لهم أنهم دائماً يُقَدِّمون اختيارهم وشهواتهم على اختيار الله لهم) ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾: أي ولَزِمَتهم صِفَةُ الذل والهَوان، فهُم أذِلاء مُحتقَرون أينما وُجِدوا، ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ وهي فقر النفوس، فلا ترى اليهوديَّ إلا وعليه الخوف والرعب مِن أهل الإيمان، ﴿وَبَاءُوا﴾: أي ورجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ مُستحقين له، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي جعله اللهُ عليهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: أي بسبب أنهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي ظلمًا واعتداءً، ﴿ذَلِكَ﴾: أي الجُرأة على قتل الأنبياء كانت ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: أي بسبب ارتكابهم للمعاصي، وتجاوُزهم لحدود الله تعالى، فقَسَتْ قلوبهم.

الآية 62: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من هذه الأمَّة، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾: أي والذين كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من الأمم السابقة من اليهود، والنصارى، والصابئين – وهم قومٌ باقون على فِطرتهم (يعني على التوحيد)، ولا دين مُقرَّر لهم يتبعونه – فهؤلاء جميعًا ﴿مَنْ

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وأما بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم – خاتمًا للنبيين والمُرسَلين – إلى الناس كافة، فلا يَقبلُ اللهُ دينًا مِن أحدٍ غيرَ الإسلام.

الآية 63: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي العهد المؤكَّد منكم بالإيمان بالله تعالى وإفرادِهِ وحده بالعبادة، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ وهو جبل الطور بسيناء، (فقد رفعه اللهُ فوق بني إسرائيل كأنه سحابةٌ تُظِلهُم، وأيقنوا أنه واقعٌ بهم إن لم يَقبلوا أحكام التوْراة)، وقال اللهُ لهم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: أي بجدٍ واجتهاد، ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾: أي ولا تنسوا التوْراة قولاً وعملاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: يعني لِكَي تخافوا عقابي، فحينئذٍ ستنتهون عن فِعل المعاصي.

الآية 64: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي ثم خالفتم وعصيتم مرة أخرى مِن بعد أَخْذِ العهد ورَفْع الجبل، كشأنكم دائمًا، ﴿فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالتوبة، والتجاوُز عن خطاياكم ﴿لَكُنتُمْ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾.

الآية 65: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ – يا مَعشرَ اليهود – العذابَ الذي نَزَلَ بـــ ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ والمقصود بهم قرية أصحاب السَّبت (وهم من اليهود)، حيثُ عَصَوا ربهم فيما عاهَدوه عليه مِن تعظيم يوم السبت وعدم الصيد فيه، فوضعوا الشِّبَاك وحَفروا البِرَك يوم السبت، ثم جاؤوا يوم الأحد، فاصطادوا السمك الذي في الشِّباك، كَحِيلةٍ للوصول إلى المُحرَّم ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: أي فمَسَخَهم اللهُ تعالى قِرَدةً ذليلين.

الآية 66: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: أي فجعل اللهُ هذه القرية ﴿نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: أي عِبرة لَمن بحَضرتها مِن القرى، يَبلغهُم خبرُها وما حَلَّ بها، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: أي وعِبرةً لَمن يَعمل بعدها مثل تلك الذُّنوب ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الآية 67: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ أي واذكروا يا بني إسرائيل كَثرة جدال أسلافكم لموسى عليه السلام حين قال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ يعني أتَسْخَر مِنَّا وتَستهزئ بنا؟ ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الذين يَسخَرونَ من الناس، ويُحَدثونهم بغير علم، استهزاءً بشأنهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 68: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ يعني ما هي حقيقة هذه البقرة التي أمَرَنا أن نذبحها، ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ أي ليست مُسنَّة، ﴿وَلا بِكْرٌ﴾: يعني وليست بِكراً صغيرة، ولكنها ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾: أي متوسطة بين هذيْن السنَّيْن، ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾: أي فسارِعوا إلى امتثال أمر ربكم.

الآية 69: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ﴾ ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ أي شديد الصُّفْرة، ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ إليها لِبَهاء خِلقتها ولونها.

الآية 70: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى البقرة التي أمَرتنا أن نذبحها.

الآية 71: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ﴾ أي غير مُذلَّلة للعمل في حراثة الأرض للزراعة، ﴿وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾: أي وكذلك غير مُعَدَّة – أو مُذلَّلة – للسَقي من الساقية، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: أي خالية من جميع العيوب، ﴿لا شِيَةَ فِيهَا﴾: أي ليس فيها لون إلا الأصفر، ﴿قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾: يعني الآن جئتَ بحقيقة وَصْف هذه البقرة، ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾: أي وقد قاربوا ألا يفعلوا، بسبب كثرة الجدال.

الآية 72: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾: أي فتنازعتم بشأنها، كُلٌّ يَدفع عن نفسه تُهمة القتل، ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ مِن قَتْل القتيل.

الآية 73: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾: أي فقلنا: اضربوا القتيل بجُزء من هذه البقرة المذبوحة، فإنّ الله سيَبعثه حيًا، ويُخبركم عن قاتله، فضربوه ببعضها، فأحياه الله، وأخبرَ بقاتله، ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ يوم القيامة، ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي معجزاته الدالة على كمال قدرته تعالى، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي لكي تتفكروا بعقولكم، فتمتنعوا عن مَعاصيه.

الآية 74: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: أي ولكنكم لم تنتفعوا بتلك المعجزة، إذ بعد كل هذه المعجزات الخارقة، اشتدت قلوبكم وغَلُظَت، فلم يَنْفُذ إليها خير، ولم تَلِنْ أمام الآيات الباهرات التي أريتُكموها ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ﴾

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي يَسقط من أعالي الجبال مِن خشية اللهِ تعالى وتعظيمه، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وسيُجازيكم على أفعالِكم.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

5. تفسير الربع الخامس من سورة البقرة (*)

الآية 75: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المسلمون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾: أي يُصدِّق اليهودُ بدينكم؟!، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ – وهو التوْراة – ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: أي مِن بعد ما عَقلوا حقيقته، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم يُحرِّفون كلام رب العالمين عَمْدًا وكَذِبًا.

الآية 76: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بدينكم وبرسولكم المُبشَّر به في التوْراة، ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: يعني أتُحدِّثُونَ المسلمين بما بَيَّنَ اللهُ لكم في التوْراة مِن أمر محمد ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾: أي ليتخذوا ذلك حُجَّةً عليكم ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟

الآية 77: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾؟ (هذا استفهام للاستنكار)، يعني ألم يَعلموا أنَّ اللهَ يَعلم ما يتحدثون به سِرًّا ويَعلم أيضاً ما يُظهِرونه للمسلمين؟ إذاً فكيف يَجرؤون على فِعل هذه الجرائم واللهُ مُطَّلِعٌ عليهم؟!

الآية 78: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ أي جَهَلة بدينهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾: أي لا يعلمون من التوْراة إلا أكاذيبَ تلقَّوْهَا مِن أحبارهم، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظنونًا فاسدة.

الآية 79: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: أي ليأخذوا في مقابل هذا التحريف عَرَضًا زائلاً مِن الدنيا، ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ مِن المال الحرام، كالرشوة وغيرها.

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

الآية 80: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ يعني إلا أربعين يومًا فقط بعدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ بذلك؟ إن كانَ ذلك صحيحاً ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؟!

الآية 81: ﴿بَلَى﴾: أي ليس الأمر كما زعموا، وإنما حُكْمُ الله ثابت، وهو أنّ ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾: يعني إنّ مَن ارتكب الآثام حتى جَرَّتْهُ إلى الكُفر ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الآية 82: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا﴾ باللهِ ورُسُله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ – بإخلاصٍ لله تعالى، وعلى النحو الذي شَرَعَهُ اللهُ لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم – ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الآية 83: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أي العهد المؤكَّد عليهم: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾: أي وأحسنوا إلى أقربائكم ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: أي وقولوا للناس أطيَب الكلام، وذلك بالتفكُّر في الكلام قبل أن تقولوه، حتى لا تؤذوا به الناس، (ولأنّ ذلك سوف يؤدي إلى دخول الشيطان في صَدر مَن تأذَّى بكلامكم، فينشأ عنده الغِلّ والغضب والكَراهية لكم)، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي ثم أعْرَضْتم ونقضتم ذلك العهد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ﴾ ثَبَتَ عليه، ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يعني إنّكم توليتم على وجه الإعراض؛ لأنَّ المُتَوَلِّي قد يَتولى وفي نيَّتِهِ الرجوع إلى ما تَوَلَّى عنه، وأما هؤلاء فليس لهم رغبة في الرجوع إلى هذه الأوامر.

الآية 84: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي لا تقتلوا بعضكم، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾: أي ولا تُخرِجوا إخوانكم من ديارهم، ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: يعني ثم اعترفتم بذلك، وأنتم تشهدون على صِحَّتِه.

الآية 85: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ أي يا هَؤُلاء ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: أي يَقتل بعضكم بعضًا، ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾: أي ويَتقَوَّى كلُّ فريقٍ منكم على إخوانهِ بالأعداء، ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾: أي ظلمًا واعتداءً، ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى﴾ في يد الأعداء ﴿تُفَادُوهُمْ﴾: أي تسعَوْنَ في تحريرهم من الأسْر بدَفع الفِدية، ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾: أي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مع أنه مُحَرَّمٌ عليكم إخراجهم من ديارهم، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ وهو فِداء الأسير ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو قتل إخوانكم وإخراجهم من ديارهم، ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ﴾: أي ذُلٌّ وفضيحة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ – وقد وقع ذلك لهم؛ فلقد سَلَّطَ اللهُ رسولَه عليهم، فقَتل منهم مَن قَتل، وأسَرَ مَن أسر، وطرد مَن طرد، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

الآية 86: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾: يعني أولَئِكَ الَّذِينَ آثَرُوا الحياة الدنيا على الآخرة، ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

الآية 87: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾: أي وأتبعناه برُسُلٍ من بني إسرائيل، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي المعجزات الواضحات، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: أي وقوَّيناه بجبريل عليه السلام، ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ يا بني إسرائيل ﴿بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن اتِّباعِهِ وعادَيْتموه، ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: يعني فكذبتم فريقًا من هؤلاء الرسل الذين جاؤوكم، وقتلتم فريقًا آخر.

الآية 88: ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أي عليها أغطِيَة، فلا يَنْفُذ إليها قولُك، ﴿بَلْ﴾: أي ليس الأمر كما زعموا، ولكنْ ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾: أي طردهم الله من رحمته بسبب جحودهم، ﴿فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلاً لا ينفعهم، ﴿كإيمانهم بموسى وهارون، والتوراة (التي أنزلَت على موسى)، والزَبور (الذي أُنزِلَ على داوود)، ولكنَّ كفرَهم بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم أضاع هذا الإيمان، لأنّ مَن كَفَرَ برسولٍ من الرسل فقد كفر بسائر الرُسُل، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾، ولم يقل: (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ رسولهم).

الآية 89: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ – وهو القرآن – ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي يَستنصرون به صلى الله عليه وسلم على مُشركِي العرب، ويقولون: (قَرُبَ مَبعثُ نبيٍّ آخرِ الزمان، وسنتبعُهُ ونقاتلكم معه)، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾: أي فلمَّا جاءهم الرسول الذي عرفوا صفاتِهِ وَصِدْقَه: ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 90: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾: أي قَبُحَ ما اختاره بنو إسرائيل لأنفسهم ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ أي ظلمًا وحسدًا ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ القرآن ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: يعني على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كانوا يَرجون أن يكون هذا النبي مِن بني إسرائيل، وليس مِن العرب، ﴿فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾: أي فرجعوا بغضبٍ من الله عليهم؛ بسبب جحودهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، بعد غضبه الأول عليهم بسبب تحريفهم للتَوْراة، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

الآية 91: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ – وهو القرآن – ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾: أي نُؤْمِنُ فقط بِمَا أنزلَ اللهُ على أنبيائنا (الذين كانوا مِن بني إسرائيل)، ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾: أي ويجحدون بما أنزلَ اللهُ بعدَ ذلك، مع أنَّ القرآن نزلَ أيضاً من عند الله، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ فلو كانوا يُؤمنون بكُتُبهم حقًّا، لآمَنوا بالقرآن الذي صدَّقها، وحتى تعلم – أيها الرسول – كَذِبهم في ادَّعائهم بأنهم يؤمنون فقط بما أنزلَ على أنبيائهم: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ الذين أُرسِلوا إليكم ﴿مِن قَبْلُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؟!

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

6. تفسير الربع السادس من سورة البقرة (*)

الآية 92: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى﴾ – أيها اليهود – ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالمُعجزات الواضحات الدالَّة على صِدقه، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾: أي ومع ذلك فقد اتخذتم العِجل مَعبودًا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي مِن بعد ذهاب موسى لِمُناجاة ربه ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ مُتجاوزونَ لحدود الله بهذا الفِعل القبيح.

الآية 93: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي العهد المؤكَّد عليكم ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ أي جبل الطور بسيناء، وقلنا لكم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أي بجدٍ واجتهاد، ﴿وَاسْمَعُوا﴾ وأطيعوا، وإلا أسقطنا عليكم الجبل، فـ ﴿قَالُوا﴾ لموسى: ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمْرك، ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾: أي وذلك العِصيان؛ لأنَّ عبادة العِجل قد امتزجت بقلوبهم، بسبب كُفرهم، ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾: أي قَبُحَ ما يَأمُرُكم به إيمانُكم مِن الجحود والضلال ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقًّا بما أنزلَ اللهُ عليكم.

الآية 94: ﴿قُلْ﴾ – أيها الرسول – لهؤلاء اليهود الذين يَزعمون أن الجنة خاصة بهم: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ لِزَعْمكم أنكم أولياءُ لله مِن دون الناس، وأنكم أبناءُ الله وأحِبَّاؤه: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعواكم.

الآية 95: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: يعني ولن يَتمنى اليهودُ الموتَ أبدًا؛ لِما يَعرفونه مِن صِدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومِن كذبهم وافترائِهم عليه، وبسبب ما ارتكبوه مِن الكُفر والعِصيان، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ وسيُعاقبهم على ظلمهم.

♦ وفي الآيةِ دليلٌ على إعجاز القرآن الكريم، وأنه كلامُ اللهِ تعالى الذي بيدِهِ كلُّ شيء، والذي يعلمُ الغيبَ وحده، فلقد طلب اللهُ تعالى منهم تَمَنِّيَ الموت، حينَ زعموا أنَّ الجنة خاصة بهم مِن دون

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الناس، وأنهم إذا ماتوا: دخلوها، فلم يتمنَّوا الموت، رغمَ قدرتِهم على تَمَنِّيهِ ولو كذبًا، ورغمَ توبيخِ اللهِ لهم بأنهم لن يَتمنوه، ورغمَ حِرصهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم.

الآية 96: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: أي وأَحْرَصَ مِن الذين أشركوا، بمعنى أنهم تزيد رغبتهم في طول الحياة على رغبات المشركين، أيًّا كان نوع هذه الحياة مِن الذِّلَّة والمَهانة، ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾: يعني وما تعميرُهُ في الدنيا بمُزَحْزِحِهِ من عذابِ الله، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

الآية 97: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي فإنَّ جبريل نَزَّل القرآن على قلبك ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فنَزَلَ القرآنُ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

الآية 98: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ أي وخاصةً المَلَكين (جبريل وميكال)؛ لأنّ اليهود زعموا أنَّ جبريل عدوهم، وأنَّ ميكال وليُّهم، فأعلمَهُم اللهُ تعالى أنه مَن عادَى واحدًا منهما فقد عادَى الآخر وعادَى اللهَ أيضًا، ومَن عادَى اللهَ تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾.

الآية 99: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني آياتٍ واضحاتٍ تدلُّ على أنَّك رسولٌ مِن اللهِ صِدقًا وحقًّا، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ﴾: يعني وما يَكْفُرُ بهذه الآيات إلا الخارجون عن دين الله وطاعته.

الآية 100: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾؟ هذا استفهامٌ للتعجب من عدم صَبْر اليهود على الوفاء بعهودهم، فكلما عاهَدوا عهدًا: طَرَحَ ذلك العهد فريقٌ منهم ونَقضوه، ثم ذَكَرَ تعالى السبب في ذلك فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إذ عدم إيمانهم هو الذي أوْجَبَ لهم نَقْضَ العهود، ولو صَدَقَ إيمانُهم، لَكانوا مِثل الذين قال اللهُ فيهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 101: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وهو محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ (حيثُ جاءهم بالقرآن الموافق لِمَا معهم من التَوْراة)، فلَمَّا جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾: أي طَرَحَ فريقٌ منهم التَوْراة، وجعلوها ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ما ذُكِرَ فيها من صفات هذا الرسول.

الآية 102: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾: أي واتَّبعَ اليهودُ ما تُحدِّث الشياطينُ به السَّحَرةَ على عهد مُلك سليمان، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ وما تَعلَّم السِّحر، ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ حين ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ إفسادًا لدينهم، ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾: يعني وكذلك اتَّبعَ اليهودُ السِّحرَ الذي أُنزلَ على المَلَكَين (هاروت وماروت) بأرض "بابل" في "العراق"، امتحانًا وابتلاءً مِن الله لعباده، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾: يعني وما يُعَلِّم المَلَكان ﴿مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا﴾ له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ ﴿فَلا تَكْفُرْ﴾ بتعلم السِّحر وطاعة الشياطين، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ أي ما يُحْدِثون به الكراهية بين الزوجين حتى يتفرَّقا، ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ – أي اليهود – ﴿لَمَنْ اشْتَرَاهُ﴾ يعني إنّ مَن اختار السِّحر وتَرَك الحق: ﴿مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ يعني: ما له في الآخرة مِن نصيبٍ في الجنة، بل إنّ السِّحرَ مُوجِبٌ للعذاب، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾: أي قَبُحَ ما باعوا بِهِ أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

الآية 103: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ يعني لأيقَنوا أن ثوابَ الله خيرٌ لهم مِن السِّحر ومما اكتسبوه به ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

الآية 104: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ أي راعِنا سَمْعَك، فافهَم عنا وأفهِمْنا؛ لأنّ اليهود كانوا يقولون كلمة: (راعِنا) للنبي صلى الله عليه وسلم – ويَلوون ألسنتهم بها – ليقصدوا سَبَّهُ ونِسبَتَهُ إلى الرُّعُونة، (وهي الحُمق والطَيْش)، ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾: أي ولكنْ قولوا: انظرنا (أي انظر إلينا وتعهَّدْنا)، وهي تؤدي المعنى المطلوب، ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما يُتلَى عليكم مِن كتابِ ربكم وافهموه، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الآية 105: ﴿مَا يَوَدُّ﴾ أي لا يُحِبّ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ – وهم اليهود والنصارَى – ﴿وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ سواء كانَ هذا الخير قرآنًا أو عِلمًا، أو نَصرًا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو بُشرَى، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾: أي بالنبُوَّة والهداية إلى أكمل الشرائع ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ مِن عِباده، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: أي ذو العطاء الكثير الواسع.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

7. تفسير الربع السابع من سورة البقرة (*)

الآية 106: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ يعني: ما نُبدِّلْ مِن آيةٍ ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: يعني أو نُزِلها من القلوب والأذهان إلا و﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ في التكليف والثواب، ولِكُلٍّ حِكمة، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يُعجزُهُ شيء، إذ مَن يَقدِرُ أن يُزيلَ الآيات من القلوب والأذهان غير مَن يَملكُ القلوبَ والأذهانَ سبحانه تعالى؟

الآية 107: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ خَلقًا وتدبيرًا، فهو سبحانه المالك المُتصَرِّف في السماوات والأرض، يَفعل ما يشاء، ويَحكم ما يريد، ويأمر عباده ويَنهاهم كَيفما شاء، فعليكم الطاعة والقَبول، فإن عصيتموه فاعلموا أنه: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يَتولى أموركم ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ يَمنعُكم من عذابَه.

الآية 108: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾: يعني أَم تريدون أن تطلبوا من رسولكم محمد صلى الله عليه وسلم أشياء بقصد العِناد والمُكابَرة ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ حينَ سأله بنو إسرائيل أن يُرِيَهُمُ اللهَ جَهرَةً، وغير ذلك؟، ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: أي فقد خرج عن الصراط المستقيم إلى الجهل والضَّلال.

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

- واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 109: ﴿وَدَّ﴾ أي تمنَّى ﴿كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ مِن اليهود والنصارى ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾، وذلك ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾ لأنهم كانوا يَرجُون أن يكون هذا النبي الخاتم مِن بني إسرائيل، وليس مِن العرب، فلذلك كفروا به ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ﴾ ﴿فَاعْفُوا﴾: أي فتجاوزوا - أيها المسلمون - عمَّا كان منهم مِن إساءةٍ وخطأٍ، ﴿وَاصْفَحُوا﴾ عن جهلهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ لكم بقتالهم (وقد جاء ووقع)، وسوف يُعاقبهم الله لسوءِ أفعالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الآية 110: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي واعلموا أنَّ كلَ خيرٍ تُقدِّمونه لأنفسكم مِن الطاعات، تجدون ثوابه عند الله في الآخرة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فهو سبحانه يرى عَملَكُم، (ويَرى تَعَبَكُم مِن أجلِه).

الآية 111: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: أي تلك أوهامهم الفاسدة، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعوَاكم.

الآية 112: ﴿بَلَى﴾: أي ليس الأمر كما زعموا أنَّ الجنة تختص بطائفةٍ دونَ غيرها، وإنما يَدخلُ الجنَّة ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: أي أخلصَ عبادته لله وحده لا شريك له، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: أي وهو مُتبعٌ للرسول محمد صلى الله عليه وسلم في أقواله وأعماله، ومَن يفعلْ ذلك ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

الآية 113: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ مِن الدِّين الصحيح، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ مِن الدِّين الصحيح، ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: أي مع أنهم يَقرؤون التَوْراة والإنجيل، وفيهما وجوب الإيمان بالأنبياء جميعًا، ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مِن مُشركِي العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: يعني إنّهم قالوا لكل ذي دِين: لستَ على شيء، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

الآية 114: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: أي ومَن أشدُّ ظلمًا ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾؟ ﴿أُولَئِكَ﴾ الظالمون ﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي يدخلوا المساجد ﴿إِلاَّ خَائِفِينَ﴾ من عقوبة الله تعالى، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي ذل وفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 115: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يعني: ولله جهَتا شروق الشمس وغروبها وما بينهما، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾: يعني فأيَّ جهةٍ توجهتم إليها في الصلاة، بأمر الله لكم – فقد أمَرَكُم باستقبال الكعبة، بعد أن كنتم مأمورين باستقبال بيت المَقدس – فأينما تَوجهتم في الصلاة ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾: أي فهناكَ اللهُ تعالى؛ إذ إنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – مُحِيطٌ بخلقِهِ، والكائناتُ كلها بين يديه، وكيف لا يكونُ ذلك وقد أخبرَ تعالى – عن نفسِهِ – أنَّ الأرضَ جميعًا قبضتهُ يومَ القيامة، والسمواتُ مطوياتٌ بيمينِه.

♦ وفي الآية، إثباتُ الوَجْه لله تعالى، كما يَليقُ بجلاله وكماله، وأنَّ لهُ وَجْهًا لا تُشبهُهُ الوُجوه، وهذا هو مَنهجُ أهل السُّنَّة (الإثبات مع التنزيه)، بمعنى أنهم يُثبتون الصفة لله تباركَ تعالى كما أخبرَ بها عن نفسِهِ، وكما أخبرَ بها عنهُ نبيهُ محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنْ مع تنزيهِهِ سبحانه (أي مع الاعتقاد الجازم أنه تعالى ليسَ كمِثلِهِ شيء، فلا يُشبهُ أحدًا مِن خَلقِه)، وَكُلُّ ما دارَ ببالِكَ: فاللهُ بخِلافِ ذلك، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ في رحمته بعباده، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يَستحق فضله وعطائه ورحمته.

الآية 116: ﴿وَقَالُوا﴾ أي اليهود والنصارَى والمشركون: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ﴿سُبْحَانَهُ﴾: أي تنزَّهَ اللهُ تعالى عن ذلك، فإنه سبحانه ليس مُحتاجًا إلى ولدٍ كما يَحتاجُ البشر، فإنَّ البشر يَحتاجون إلى ولدٍ يَخدمهم ويَرعاهم في كِبَرهم، وعند مرضهم، وحالَ ضَعفِهم، أما اللهُ تعالى فهو – سبحانهُ – القوي الغني الذي لا يحتاجُ إلى شيءٍ مما يحتاجُه البشر، ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فهُم مِلكُهُ وعَبيدُه، و ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾: أي وهم جميعًا خاضعونَ له، مُسَخَّرونَ تحتَ تدبيره، فكيف يكونُ له منهم ولد؟!

الآية 117: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي خالِقهُما على غير مِثالٍ سابق، ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

الآية 118: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ من الجَهَلة المشركين وغيرهم: ﴿لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في الكُفر والضَّلال، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: أي قد أوْضَحنا البراهين والحُجَج للذين يُصدِّقون تصديقًا جازمًا، فلا يَحتاجون بعد تلك الحُجَج القوية إلى أن يَطلبوا أن يُكَلِّمَهم اللهُ، أو غير ذلك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 119: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: أي بالدين الحق المُؤيد بالحُجَج والمعجزات، ﴿بَشِيرًا﴾ للمؤمنين الطائعين ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين والعاصين، ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾: أي ولستَ – بعد البلاغ – مسؤولاً عن كُفر مَن كَفَر.

الآية 120: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾: يعني إنّ دينَ الإسلام هو الدين الصحيح، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأنك على الحق وهم على الباطل، فحينئذٍ ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

الآية 121: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ – من علماء اليهود والنصارى الصادقين – ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾: أي يَقرؤون كتابهم القراءة الصحيحة، ويَعملون به، ولا يُحَرفونه، بل يُؤمنون بما جاء فيه من التصديق بجميع رُسُل الله، ومنهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، (وبهذا يكون معنى قوله تعالى: ﴿حق تلاوته﴾: أي تِلاوة وإيمانًا واتِّباعًا وتعظيمًا)، ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يعني: وهؤلاء هم الذين يؤمنون بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه، فيدخلون في الإسلام بمجرد بعثته صلى الله عليه وسلم، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

الآية 122: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ كإنزال المَنّ والسَلوَى وغير ذلك، ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أي وتَذكَّروا أني فَضَّلْتُكم على عَالَمِي زمانكم بكثرة أنبيائكم، وما أُنزلتُ عليهم من الكُتب.

الآية 123: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ﴾: أي لا تُغني نفسٌ ﴿عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: أي وَلا يُؤْخَذُ منها فِدية تُنجيها من العذاب، ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ إلا مِن بعدِ أن يَأذنَ اللهُ لمن يشاءُ ويرضى، ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾: أي ولا يَملِكُ أحدٌ في هذا اليوم أن يَتقدم لِنُصرَة أحد وإنقاذه من العذاب.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

8. تفسير الربع الثامن من سورة البقرة (*)

الآية 124: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾: أي واذكر حين اختبرَ اللهُ إبراهيمَ ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾: أي ببعض التكاليف التي شرعها له، ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: أي فأدَّاها إبراهيمُ، وقام بها خيرَ قيام، فحينئذٍ ﴿قَالَ﴾ اللهُ له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: أي قدوةً لهم، ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: يعني واجعل ياربُّ مِن ذُرِّيَّتي أيضاً أئمَّة (فضلاً منك)، ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾: أي لا تَحْصُلُ الإمامة في الدِّين للظالمين.

الآية 125: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ أي مَرجِعًا لهم (يأتونه، ثم يرجعون إلى أهليهم، ثم يعودون إليه)، وكذلك جعلناهُ مَوضِعَ ثوابٍ لهم ﴿وَأَمْنًا﴾، ﴿وَاتَّخِذُوا﴾: أي وقلنا لهم: اتخِذوا ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾: أي مكانًا للصلاة فيه، ﴿وَعَهِدْنَا﴾: أي وأوحينا ﴿إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ مِن كل رجْس ودَنَس ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

الآية 126: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ – أي مكة – ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ مِن كل خوف، ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ منهم أيضًا ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾: أي أُلجِئُهُ مُرغمًا ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: أي وبئسَ المَرجعُ والمقامُ: جهنم، (ففي صحيح مُسلِم أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أخبرَ بأنَّ أقلَّ أهل النار عذابًا يوم القيامة: رجلٌ يَلبَسُ نَعليْن مِن نار، يَغلِي دماغُهُ مِن سخونة نَعليْه، كما يَغلي القِدر، وما يَرى أنَّ أحدًا أشدَّ منه عذابًا، وإنه لأهوَنُهُم عذابًا).

الآية 127، والآية 128، والآية 129: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾: أي واذكر – أيها النبي – حين رَفَعَ إبراهيمُ وإسماعيلُ أُسُسَ الكعبة، وهما يَدعُوانِ اللهَ في خشوع: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أي ثابتَيْن على الإسلام، مُنقادَيْن

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لأحكامك، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: أي وبَصِّرْنا بمَعالم عبادتِنا لك، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي في ذُرِّيَّتِنا ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾: أي مِن ذرية إسماعيل ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: أي ويُطهرهم من الشرك وسُوء الأخلاق ﴿إِنَّكَ أَنْتَ العزيز الْحَكِيمُ﴾.

الآية 130: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: أي ولا أحد يُعرضُ عن دين إبراهيم – وهو الإسلام – ﴿إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: يعني إلاّ سَفِيه، ضعيف العقل، جاهل، ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ أي اخترناهُ بالرسالة، وجعلناهُ قدوةً للناسِ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم أعلى الدرجات.

الآية 131: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾: أي وسبب هذا الاصطفاء والاختيار لإبراهيم: مُسارَعَته للانقياد لله تعالى، والاستسلام لأوامره دونَ تردد، حينَ قال اللهُ لهُ: أسلِم، فـ ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ توحيدًا وإخلاصًا ومَحبَّة.

الآية 132: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾: أي وَوَصَّى إِبْرَاهِيمُ أبناءه بكلمة ﴿أسلمتُ﴾ والثبات عليها، وكذلك وَصَّى بها يَعْقُوبُ أبناءَهُ أيضًا: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ وهو دين الإسلام، ﴿فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

الآية 133: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾: يعني هل كنتم أيها اليهود حاضرينَ حين جاء الموتُ يعقوبَ؟ ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾؟ فـ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾، فلن نَعبد إلاَّ ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وهو اللهُ سبحانه وتعالى ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: أي ونحن له مُنقادونَ خاضعون.

الآية 134: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ مِن أسلافِكم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ أي مَضَتْ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يُؤاخَذُ أحدٌ بذنب أحد، ولا ينفعُ أحدًا إلا إيمانُه وتقواه، (وفي الآيةِ قطعٌ للتعلق بالمخلوقين، وعدم الاغترار بالانتساب إليهم، وأنَّ العِبرة بالإيمان بالله وعبادته وحده، واتِّباع رُسُله، وأنَّ مَن كَفَرَ برسولٍ منهم فقد كفر بجميع الرسل).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 135: ﴿وَقَالُوا﴾ أي اليهود والنصارى: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: أي قل لهم: بل الهداية أن نتبع – جميعًا – دين إبراهيم، وهو الإسلام، فقد كانَ عليه السلام ﴿حنيفًا﴾: أي مائلاً عن كل دِين باطل إلى الدين الحق، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بالله تعالى.

الآية 136: ﴿قُولُوا﴾ أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنَّصارى: ﴿آمَنَّا بِاللهِ﴾: أي صدَّقْنا بالله الواحد الأحد ﴿وما أنزل إلينا﴾: أي وآمنَّا بما أُنزلَ إلينا من القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾: أي وبمَا أُنزلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ والأسباط﴾ – والأسباط هم الأنبياء مِن وَلَدِ يعقوب (الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثني عشرة) – ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾: أي وآمنَّا بما أوتيَ ﴿مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ أي وبمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ في الإيمان بهم ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

الآية 137: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ – وفي الآية دليلٌ على وجوب اتِّباع النبي صلى الله عليه وسلم بفَهْم الصحابةِ الكِرام رضوان الله عليهم؛ لأنَّ الله تعالى قد أثبتَ أنَّ إيمانهم هو الإيمانُ الحق، وذلك في قولِهِ تعالى: ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾: يعني وإن أعرضوا فَإِنَّمَا هُمْ في مُخالَفةٍ وعداوةٍ للرسول صلى الله عليه وسلم.

♦ وهذه العداوة تَستوجبُ أن يَبذلوا كل ما يَقدِرون عليه في أذِيَّة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلهذا وَعَدَ اللهُ رسولَهُ أن يَكفِيَهُ إيَّاهم، فقال: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ﴾: أي فسَيَكفِيكَ شرَّهم؛ لأنه – سُبحانهُ – السميعُ لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، العليمُ بظوَاهرهِم وبَوَاطنهم، يعلمُ ما يَمكُرون وما يُدَبِّرونه لرسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أنجَزَ اللهُ وَعدَهُ، فقد كفاهُ مَكرَهم وشرَّهُم، بل وَنَصَرَهُ عليهم حتى قتَلَ بعضَهم، وأسَرَ بعضهم، وشرَّدَهُم كُلَّ مُشرَّد، ففي هذا مُعجزة من مُعجزات القرآن الكريم، وهو الإخبار بالشيء قبل وقوعِه، فوقع كما أخبر، فللهِ الحمدُ والمِنَّة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

الآية 138: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: أي الزَموا دينَ اللهِ الذي فَطَركم عليه، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾: أي فليس هناك أحسنُ مِن فطرة اللهِ التي فطَرَ الناسَ عليها فالزموها، ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾: أي وقولوا: نحن له خاضعون.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 139: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: يعني وهو ربُّ العالمين جميعًا، لا يختَصُّ بقومٍ دونَ قوم، ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ في العبادة والطَّاعة، لا نُشركُ به شيئًا، ولا نَعبدُ أحدًا غيره.

الآية 140: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾؟، وهذا كَذِب، فقد بُعِثوا وماتوا قبل نزول التوْراة والإنجيل، ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾؟ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: أي ولا أحد أظلمُ منكم حين تُخفون شهادة ثابتة عندكم من الله تعالى، (والمُراد بهذه الشهادة: ما أخذه اللهُ عليهم – في كتابهم – من الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم عند ظهوره)، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

الآية 141: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ مِن أسلافِكم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ أي مَضَتْ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يُؤاخَذُ أحدٌ بذنب أحد، ولا ينفعُ أحدًا إلا إيمانُه وتقواه.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

9. تفسير الربع التاسع من سورة البقرة (*)

الآية 142: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ﴾ – وهم اليهود: ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾: أي ما صَرَفهم ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾: أي التي كانوا يُصَلُّون إلى جهتِها أوَّلَ الإسلام – وهي بيت المَقدِس – إلى الكعبة، ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ فليست جهة من الجهات خارجة عن مُلكِه، ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني إلى طريقٍ واضح، وإلى مِنهاج الهداية القويم، (وفي هذا إشعارٌ بأنَّ الشأنَ كله لله تعالى في امتثال أوامره، فحيثما وَجَّهَنَا: تَوَجَّهْنا).

الآية 143: ﴿وَكَذَلِكَ﴾: يعني وكما هديناكم إلى الدين الصحيح: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي كاملين، فأمّة محمد صلى الله عليه وسلم هي أمَّةٌ وَسَطٌ في كل أمور الدين؛ فهُم وَسَطٌ في إيمانهم بالأنبياء (فلم يُجاوزوا الحَدَّ في تعظيمهم كما فعل النصارى بالمسيح عليه السلام، ولم يُنقِصُوهم قدرَهم كما فعل اليهودُ بأنبيائِهم).

♦ وهم وسطٌ في الشريعة (فلم يَتَشدّدوا كَتشدِيدات اليهود، ولم يَتَهَاوَنُوا كَتَهَاوُن النصارى)، وهُم وسطٌ في باب المطاعم (فهُم ليسوا كاليهود الذين حُرِّمَت عليهم الطيبات عقوبةً لهم، ولا كالنصارَى الذين لا يُحَرِّمُون شيئًا، بل أباحوا كل شيء)، فلهذه الأمَّة مِن الدِينِ أكْمَلُهُ، ومِن الأخلاقِ أجَلُّها، ومِن الأعمالِ أفضلها، فلذلك كانوا أُمَّةً وَسَطًا.

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ مِن سائر أهل الأديان يوم القيامة، بسبب حُكمِكُم بين الناسِ بالعدل، (فما شَهِدَتْ له هذه الأمَّة بالقبول، فهو مقبول، وما شَهِدَت له بالرَدِّ، فهو مَردود)، ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنَّه بلَّغكم رسالة ربه، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ ثم صرفناك عنها إلى الكعبة ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: يعني إلاَّ ليَظهر للخَلق ما عَلِمناهُ في قديم الأزَل، لِنَميزَ ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي ومَن هو ضعيفُ الإيمان، فينقلب مُرتَدًّا عن دينِهِ لِشَكِّهِ

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونفاقه، ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ أي تحويل القِبلة ﴿لَكَبِيرَةً﴾ أي شاقة ثقيلة على النفوس ﴿إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ ويُبطِل صلاتكم إلى القبلة السابقة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

الآية 144: ﴿قَدْ نَرَى﴾ مَرَّة بعدَ مَرّة ﴿تَقَلُّبَ﴾: أي تحوُّلَ ﴿وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ انتظارًا لنزول الوَحْي إليك في شأن القبلة، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: أي فلنُوَجهنَّكَ ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ وتحبها، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ﴾: أي فوَجِّهْ وجهك نَحْوَ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من علماء اليهود والنصارى ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: أي ليَعلمون أنَّ تحويلك إلى الكعبة هو ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: أي الحق الثابت في كُتبهمْ، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من تشكِيكٍ، وسيُجازيهم على ذلك.

الآية 145: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ مرة أخرى، ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأنك على الحق وهم على الباطل ﴿إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

الآية 146: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ مِن عُلماء اليهود والنصارى ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾: أي يَعرفون أنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم هو رسولُ الله، بأوصافه المذكورة في كُتُبِهم، مثل مَعرفتِهم بأبنائهم، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ صِدْقَه، وثبوت أوصافِه.

الآية 147: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي الذي أنزل إليك - أيها النبي - هو الحق من ربك، ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: أي فلا تكونَنَّ من الشاكِّين في هذا الحق، بل تفكَّرْ فيهِ وتأمَّلْ، حتى تصِل بذلك إلى اليقين؛ لأن التفكُّر فيه - لا مَحالة - دافعٌ للشكِّ، مُوصِلٌ لليقين، وهذا - وإن كانَ خِطابًا للرسول صلى الله عليه وسلم - فهو مُوَجَّهٌ للأمَّةِ عمومًا.

الآية 148: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾: يعني ولكل أمَّةٍ من الأمم قِبلة يَتوجَّه إليها كل واحدٍ منها في صلاته، وليس الشأن في استقبال القبلة؛ فإنَّ ذلك من الشرائع التي تتغير بالأزمنة والأحوال، ويَدخلها النَّسخ، والنقل من جهةٍ إلى جهة، ولكنَّ الشأنَ كله في امتثال طاعة الله، والتقرُّب إليه، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أيها المؤمنون، وأدُّوا الفرائض والنوافل على أكمَل وجه، فـ ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ لِيُجازي كلَّ عاملٍ بعمَلِه، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 149: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ – أيها النبي – مُسافرًا وأرَدْتَ الصلاة: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي فوجِّه وَجهك نحو المسجد الحرام، ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني: وإنَّ تَوَجُّهك إليه هو الحق الثابت من ربك، فلا تتأثروا – أيها المسلمون – بكلام السُّفهاء من اليهود والمنافقين حول تحويل القِبلة، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وسيُجازيكم على أعمالكم.

الآية 150: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ مِن بيتك، وأردتَ الصلاة، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ بأي قطر من أقطار الأرض، وأردتم الصلاة ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، وقد شرَعْنا لكم استقبالَ الكعبة ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: أي لِيَنقطع عنكم احتجاج الناس مِن أهل الكتاب، لأنكم لو بَقِيتم مستقبلينَ بيتَ المَقدِس، لتوَجَّهَتْ عليكم الحُجَّة، فإنَّ أهلَ الكِتاب يَجدون في كتابهم أنَّ قِبلة النبي صلى الله عليه وسلم – التي سَيَستقرُّ عليها – هي الكعبة، وكذلك يَنقطع عنكم احتجاج الناس مِن المشركين؛ لأنَّ المشركين يَرَوْنَ أنَّ هذا البيت العظيم مِن مَفاخرهم، وأنه مِن مِلَّة إبراهيمَ، وأنه إذا لم يَستقبلهُ محمدٌ صلى الله عليه وسلم، لقالوا: كيف يَدَّعِي أنه على مِلَّةِ إبراهيم، وهو مِن ذريته، وقد ترك استقبال قبلته؟

♦ فباستقبال الكعبة: قامت الحُجَّة على أهل الكتاب والمشركين، وانقطعت حُجَجُهُم ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: يعني إلا أهل الظلم والعِناد منهم، فسَيَظلُّون على جدالِهم، وليس لهم دليلٌ إلا اتِّباع الهَوَى، فهؤلاء لا سبيلَ إلى إقناعِهم والاحتجاج عليهم، ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾: أي فلا تخافوهم وخافوني بامتثال أمري واجتناب نَهْيي، ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ باستِقبال الكعبة، واختيار أكمل الشرائع لكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى ما فيه رُشدكم وصلاحكم.

الآية 151: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾: أي كما أنعمنا عليكم باستقبال الكعبة: أرسلنا فيكم ﴿رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ أي ويُطهركم من الشِرك وسُوء الأخلاق ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي القرآن والسُنَّة، والدليل على أنَّ الحِكمة هي السُنَّة: قولُ الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، وقوله تعالى لنساء النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾، وإلاَّ، فماذا كانَ يُتلَى في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن والسُنَّة؟! ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ مِن قصَص الأنبياء والأمم السابقة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 152: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ أي أُثني عليكم في الملأ الأعلى، ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ نعَمي عليكم، (واعلم أنَّ الشُكر يكونُ حَمداً باللسان واعترافاً بالقلب، وبأن يَستخدمَ العبدُ هذه النِعَم في طاعة الله وتعالى، وألاّ يَستخدمها في مَعْصِيَتِهِ، كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾، وقال أيضاً: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾)، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ أي ولا تَجحَدوا هذه النِعَم، ولا تستخدموها في غير ما يُحِبُّهُ الله.

الآية 153: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ على الابتلاءات والمصائب، وعلى تَرْك المعاصي والذنوب، وعلى فِعل الطاعات والقُرُبات، ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ أي واطلبوا العَونَ من الله تعالى بالصلاة التي تطمئن بها النفوس، والتي تَنهَى العبد عن الفحشاء والمُنكَر (هذا إذا أدَّاها العبدُ بخشوعٍ كما أرادَ الله تعالى)، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي معهم بعَوْنِهِ وتوفيقه وحِفظه (وهذه مَعِيَّة خاصة بالصابرين، غير المَعِيَّة العامة لجميع الخلق، المُتَضَمِّنة للعِلم والإحاطة).

الآية 154: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ حياة خاصة بهم في قبورهم، لا يعلمُ كيفيتها إلا الله تعالى، ﴿وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾: أي ولكنكم لا تُحسُّون بهذه الحياة، (وفي هذا دليلٌ على نعيم القبر).

الآية 155، والآية 156: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: أي ولَنَختَبِرَنَّ صَبرَكُم ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ بفقدانها وصعوبة الحصول عليها، ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بموتها، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بقلَّة ناتِجها أو فسادِها، ﴿وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ﴾ على هذا وأمثالِه بما يَسُرُّهم في الدنيا والآخرة، وهؤلاء الصابرون هم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ يعني إنّا عبيدٌ مملوكون لله، يَفعلُ بنا ما يشاء، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ بالموت، فإنْ صَبَرْنا واحتسبْنا: وَجَدْنا أجرَنا مَوْفورًا عنده، وإنْ جَزِعْنا وسَخِطنا: لم يكن حَظُّنَا إلا السخط وفوات الأجر.

الآية 157: ﴿أُولَئِكَ﴾ الصابرون ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ أي ثناءٌ ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إلى سبيل الرَّشاد.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

10. تفسير الربع العاشر من سورة البقرة (*)

الآية 158: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي مِن مَعالم دين الله الظاهرة، التي تعبَّدَ اللهُ عبادَه بالسعي بينهما، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ أي فلا إثم عليه ولا حرج في أن يَسعى بينهما، بل يجب عليه ذلك، ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: يعني ومَن ازداد في الطاعة – بشرط أن تكون خالصة لله تعالى، لا يُريدُ العبد بها إلا الأجر والثواب من الله – ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ يُثيبُ على القليل بالكثير، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمال عباده فلا يُضَيِّعُها، ولا يُنقِصُ أحدًا مِثقالَ ذَرَّة.

الآية 159، والآية 160: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي من الآيات الواضحات الدالّة على نبُوَّة محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَالْهُدَى﴾: أي ويكتمون أيضًا حقيقة ما جاءَ به مِن الهدى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾: أي مِن بعد ما أظهرناه للناس في التَوْراة والإنجيل ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾: أي يطردهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾: أي ويدعو عليهم جميع الخلائق باللعنة ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾ أي رجعوا مستغفرين اللهَ من خطاياهم، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوه ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما كتموه ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أي أقبَلُ توبتهم، وأجازيهم بالمغفرة، ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾ على مَن تابَ من عبادي، ﴿الرحيمُ﴾ بهم؛ إذ وفقتُهم للتوبة وقبلتُها منهم.

الآية 161: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي واستمرّوا على الجحود وكِتمان الحق حتى ماتوا: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ أي يَطردهم سبحانه مِن رحمته، ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾: أي وتدعو عليهم الملائكة باللعنة، ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: أي والناسُ جميعاً يَلعنونهم، حتى الكُفار، فإنهم يَلعنونهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾.

الآية 162: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: أي دائمين في اللعنة والنار، ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾: أي لا يُرفَع عنهم العذاب قليلاً ليستريحوا، ﴿وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: أي ولا هم يُمهَلون بمَعذرةٍ يَعتذرون بها.

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 163: ﴿وَإِلَهُكُمْ﴾ أيها الناس ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ فهو سبحانه واحدٌ في ذاته وأسمائه وصفاته، ليس كَمِثله شيء، وهو السميع البصير، فاللهُ تعالى يَسمع ويُبصِر، والإنسان أيضًا يَسمع ويُبصِر، ولكنَّ سَمْعَ الإنسان وبصره لهما حدودٌ؛ إذ إنه لا يستطيع أن يُبصِرَ ما وراء الحائط، وكذلك لا يستطيع أن يَسمع ما يدور في الغرفة المجاورة له، أمّا اللهُ تبارك وتعالى فليس لِسَمعِهِ ولا لبصره حدود، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: ﴿تبارك الذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأصوات، إنّ المرأة لَتُناجي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، أسمعُ بعض كلامها، ويَخفى عليَّ بعض، إذ أنزل اللهُ تبارك وتعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾).

♦ وهو سبحانه واحدٌ في أفعاله؛ لأنه تعالى غالبٌ على أمْره، إذا أراد شيئًا، قال لهُ: كُن، فيكون، وهو سبحانه واحدٌ في استحقاقه لعبودية خلقه له، فهو الذي ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾: أي لا معبودَ بحقٍ إلا هو، وكل ما يُعبَدُ من دونه باطل، وهو ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي وَسِعَتْ رحمته جميع الخلق ﴿وهذه رحمة عامة بالمؤمنين والكافرين﴾، وهو ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، ولذلك ينبغي للعبد المؤمن أن يرجو من ربه هذه الرحمة الخاصة مُتذلِّلاً إليه بالرحمة العامة، فعندما يقرأ في الصلاة قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فإنه يقولُ بقلبه: (يا رب، إنك لا تَزالُ بي بَرًّا أيامَ حياتي، فأرجو أن تُدرِكَني برحمتك بعد مماتي).

الآية 164: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾ بارتفاعها واتِّساعها، ﴿وَالأَرْضِ﴾ بجبالها وسهولِها وبحارها، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: أي وفي اختلاف الليل والنهار مِن الطول والقِصَر، والظلمة والنور، وتعاقبهما بأن يَخلفَ كلٌّ منهما الآخر، ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾: أي وفي السفن الجارية في البحار، التي تحمل ما ينفعُ الناس، ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي وفيما أنزل اللهُ من السماء ﴿مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فصارت مُخضرَّة ذاتَ بهجة، بعد أن كانت يابسة لا نباتَ فيها، ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾: يعني وما نَشرَ فيها ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ ﴿وَ﴾ ما أنعمَ به عليكم مِن ﴿تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾: أي تقليبها وتوجيهها، ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ لإنزال المَطر، إنّ في كل الدلائل السابقة ﴿لآيَاتٍ﴾ على وحدانية الله تعالى، واستحقاقه وحدَه للعبادة، وعلى عظيمِ نِعَمِه ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، إذ إنه لا يُعقَلُ أبدًا أن يَخلُقَ ويُعبَد غيرُه، وأن يَرزُقَ ويُشكَر غيرُه!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 165: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ﴾: يعني: ورغم هذه البراهين القاطعة على وحدانية الله تعالى، يَتخذ فريقٌ من الناس ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ أي آلهةً وأوثانًا وأولياء ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾: أي يُعطونهم من المَحبّة والتعظيم والطاعة، ما لا يَليق إلا بالله وحده، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ مِن حُب هؤلاء الكفار لآلهتهم؛ لأنّ المؤمنين قد أخلَصوا المَحبّة كلَّها لله، وأولئك أشرَكوا في المَحبّة، ﴿وَلَوْ يَرَى﴾: يعني ولو يَعلم ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ بأعينهم، لَعَلِمُوا علمًا جازمًا ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وأنّ هذه الآلهة المزعومة ليس لها من القوة شيء، فتبيَّن لهم في ذلك اليوم ضَعفُها وعجْزُها، لا كما ظنوا – في الدنيا – أنّ لها من الأمر شيئًا، وأنها تقرِّبهم إلى ربهم، فخابَ ظنُّهم، وحَقَّ عليهم العذاب، (فالله تعالى لا يَحتاجُ إلى واسطةٍ بينه وبين خلقه في العبادة، لأنه – سبحانه – ليس كَمُلوك الدنيا الذين يَحتاجون إلى واسِطةٍ لقضاء مصالح الناس)، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ فعذابُهُ تعالى لا يُطاقُ ولا يُحتمَل.

الآية 166: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾: يعني وحين رَأى المُشركون العذاب: تبرَّأ ﴿الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: أي تَبرَّأ الرؤساء المَتبوعون مِمَّن اتَّبَعَهم على الشِرك، ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾: أي وتقطعت بينهم كل الصِّلات التي كانت تربطهم في الدنيا، فلم تدفع عنهم شيئًا من عذاب الله، بل حصلَ لهم الضررُ منها، مِن حيث ظنوا نفعَها.

الآية 167: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي قال الأتباع المَرؤوسون: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي عَودة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾: يعني وكما أراهم الله شدة عذابه يوم القيامة: يُريهم أعمالهم الباطلة التي عملوها في الدنيا ﴿حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾: أي يَندمون على فِعلها حيثُ لا ينفع الندم ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾.

الآية 168: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا﴾ وهو الطاهر غير النجس، النافع غير الضار، ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: أي ولا تتبعوا طرُقه في التحليل والتحريم والبدع والمعاصي؛ وأغلِقوا عليه كُلَّ بابٍ يَدخل لكم منه، وهذا ما يُسَمَّى في الشرع بـــ ﴿سَدّ الذرائع﴾: أي سد الطرق على الشيطان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عدوٌّ مبين﴾: أي عداوته لكم واضحة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 169: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ أي بكل ذنب قبيح يَسُوءُكم، ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾: يعني ويأمركم بكل معصيةٍ بالغةِ القُبح، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾: يعني ويأمركم بأن تفتروا على اللهِ الكذبَ، مِن تحريم الحلال وغير ذلك، (وفي الآية تحذيرٌ من الفتوى بغير علم، وأنها من الكبائر).

الآية 170: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾ أي وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾: يعني أيتبعون آباءهم حتى ولو كانوا لا يعقلون عن الله شيئًا، ولا يُدركون رشدًا؟

الآية 171: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معَ داعِيهم إلى الهدى والإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً﴾: أي كمثل الراعي الذي يَصيح بالبهائم ويَنهرها، وهي لا تفهم معنى كلامه، وإنما تسمع الصياح فقط، وكذلك الكفار، فإنهم ﴿صُمٌّ﴾ عن سَماع الحَق، ﴿بُكْمٌ﴾: أي خُرْسٌ عن النُطق به، ﴿عُمْيٌ﴾ عن إبصار نور الهداية، ﴿فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾: أي فهم لا يُعمِلون عقولهم فيما يَنفعهم.

الآية 172: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تكونوا كالكُفار الذين يُحَرِّمون الحلال، ويَستحِلُّون الخبائث، ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ نِعَمَه العظيمة عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحِكم ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

الآية 173: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ التي لم تُذبَحْ بطريقةٍ شرعية ﴿وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾: يعني وكذلك الذبائح التي ذُبحت لغير الله، وكذلك ما ذُكِرَ عند ذبْحِهِ اسمُ غيرِهِ تعالى، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾: يعني فمن ألجأته الضرورة إلى أكْل شيءٍ من هذه المُحَرَّمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: أي غيرَ طالبٍ للمُحرَّم – لِلذَّةٍ أو غير ذلك، ﴿وَلا عَادٍ﴾: يعني ولا مُتجاوز – في أكلِه – ما يَسُدُّ حاجتَه ويَرفع اضطراره ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الآية 174: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي ويَحرصون على أخْذِ عِوَضٍ قليل من عَرَض الحياة الدنيا مُقابل هذا الإخفاء ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾ يعني إلا نار جهنم تشتعل في بطونهم ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿وَلا يُزَكِّيهِمْ﴾: أي ولا يُطهرهم من دَنَس ذنوبهم وكُفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 175: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوا﴾ أي استبدلوا ﴿الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾: يعني فما أشدَّ جُرأتَهم على النار (بعملهم أعمالَ أهل النار)، وما أشدَّ صَبْرَهم على النار ومُكثهم فيها.

الآية 176: ﴿ذَلِكَ﴾: أي ذلك العذاب الذي استحقُّوه ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾: أي بسبب أنّ الله تعالى نزَّل كُتُبَهُ مُشتملةً على الحق الواضح، فكفروا بها، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ فآمَنوا ببعضها وكفروا ببعضها: ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: يعني أولئك في مُخالَفة بعيدة عن الرُّشد والصواب.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

11. تفسير الربع الحادي عشر من سورة البقرة (*)

الآية 177: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾: أي ليس الخيرَ عند الله تعالى في التوَجُّهِ في الصلاة إلى جهة المَشرق أو المَغرب – إنْ لم يَكُن عن أمْر الله وشرْعِه – ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي ولكنّ الخيرَ عند الله تعالى في ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾: أي آمَنَ بأنه إلهٌ واحدٌ، مَوصُوفٌ بكلِّ صِفات الكَمال، وَمُنَزَّهٌ عن كُلِّ نقص، ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ﴾ وهم أجسام نورانية، لا يَعصون اللهَ تعالى، ويَفعلون ما يُؤمرون، لا يُوصَفون بذكورةٍ ولا بأنوثة، ﴿وَالْكِتَابِ﴾: أي وآمَنَ بكُلِّ الكتب المُنَزَّلة (كالتوْراة والإنجيل والقرآن)، ﴿وَالنَّبِيِّينَ﴾، ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾: أي ورَغمَ شِدَّةِ حُبِّهِ للمال، فإنه يُعطيهِ ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ ﴿وَالْيَتَامَى﴾ الذين ماتَ آباؤهم وهُم قبل سِنِّ البُلوغ، ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ وهو المسافر الذي فَقَدَ ماله – أو نَفَد ماله – واحتاجَ للنفقة، ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ الذين اضطروا إلى السؤال لشدة حاجتهم، ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: أي وأنفق ماله في تحرير العبيد والأسرَى، ﴿وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾: أي وأخُصُّ الصابرينَ – لِمَزيدِ فضلِهم – وهم الذين صبروا ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾ وهو الفقر، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ وهو المرض، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: أي وفي شدة القتال، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الذين اتقَوا عقاب الله تعالى، ففعلوا الطاعات، واجتنبوا المعاصي.

الآية 178: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾: أي فُرِضَ عليكم أن تَقتصُّوا مِن القاتل – الذي قتلَ عَمدًا –، وذلك بقتلِهِ ﴿واعلم أنّ تنفيذ هذا القِصاص يكون عن طريق وَلِيِّ الأمر، وهو حاكِمُ البلد﴾، بشرط المُساوَاة والمُماثلة، فيُقتَلُ ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾ ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾: يعني فمَن سامَحَهُ وَلِيُّ المقتول بالعفو عن الاقتصاص منه، والاكتفاء بأخذ الدِيَة (وهي قدْر مالي مُحَدَّد يَدفعه القاتل مقابل العفو عنه)، ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي فليُطالب وَلِيُّ المقتول بالدِيَة مِن غير عُنف، ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾: يعني وليَدفع القاتل إلى وَلِيُّ

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقتول حقه مِن غير تأخير أو نقص، ﴿ذَلِكَ﴾ أي العفو مع أخذ الدِيَة ﴿تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ بكم؛ لِما فيه من التسهيل والانتفاع، ﴿فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾: يعني فمن قتل القاتل بعد أن أَخذَ منه الدِيَة ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إما بقتلِهِ – قِصاصًا – في الدنيا، أو بالنار في الآخرة.

الآية 179: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾: يعني ولكم في تشريع القِصاص وتنفيذِهِ حياة آمنة ﴿يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾: أي يا أصحاب العقول السليمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: أي رجاء تقوَى اللهِ وخشيتِهِ بطاعته، وامتثال أوامره وأحكامه.

مِن الآية 180 إلى الآية 182: يعني مِن قولِهِ تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، هذه الآيات منسوخٌ حُكْمُها بآيات المَوَاريث في سورة النساء.

الآية 183: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي فُرِضَ عليكم الصيام ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، والسبب في ذلك: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فبهذا وَضَّحَ سبحانه أنّ الغرض الحقيقي من الصيام هو الوصول إلى التقوى، (والتقوى هي: أنْ تجعل بينك وبين غضب اللهِ وعذابه وقاية، وذلك بفعل الطاعات (بأنواعها وأشكالها)، واجتناب المعاصي (صغيرها وكبيرها)، أو بمعنى آخر: أنْ يَجدَكَ اللهُ حيثُ أمَرَك، وألاَّ يَجدَكَ حيثُ نَهاك).

الآية 184: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ وهي أيام شهر رمضان، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يعني فلَهُ أن يُفطِر، وحينئذٍ يكونُ عليه صيامُ عددٍ من أيام أُخَر بقدْر التي أفطر فيها، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾: يعني وعلى الذين يَشُقُّ عليهم الصيام مَشَقة غير مُحتمَلَة كالشيخ الكبير، والمريض الذي لا يُرْجَى شفاؤه (يعني عنده مرض مُزمِن)، فأولئك عليهم ﴿فِدْيَةٌ﴾ وهي: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ عن كل يومٍ أفطروه، ولا يُكلَّفون بصيام أيامٍ أُخَر، ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: يعني فمَن زادَ في قدر الإطعام للمسكين الواحد، أو أطعمَ أكثرَ مِن مِسكين – تبرُّعًا منه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ ﴿وَأَنْ تَصُومُوا﴾ مع تحمُّل المَشَقة ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الفضل العظيم للصوم عندَ اللهِ تعالى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 185: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ أي هِدايةً للناس إلى الحق، وإرشادًا لهم إلى ما فيهِ مَصالحهم الدينية والدنيوية، ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى﴾: يعني إنّه نزلَ مُبَيِّنًا ومُوَضِّحًا للناس طريق الفوز والنجاة، ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾: أي ومُبَيِّنًا لهم الفارق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والحلال والحرام، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ﴾: يعني فمن كانَ حاضرًا – غيرَ مُسافر – عندما أُعلِنَ عن رؤية هلال رمضان ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ لِذا لم يُكَلِّفكم سبحانه بتحَمُّل المَشَقة، وإنما شَرَعَ لكم قضاءَ يومٍ آخر مكان الذي أفطرتموه يُسراً بكم ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾: أي لِتُكمِلوا صيامَ الشهر كاملاً.

♦ واعلم أنّ العظيمَ سبحانهُ إذا يَسَّرَ أمرًا، كانَ ذلكَ أجْدَرُ بتعظيمِهِ، ولذلك قال: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾: أي ولِتَختموا الصيامَ بتكبير الله في عيدِ الفِطر، ولِتُعظِّموه على هِدايتِهِ لكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي وقد فرضَ عليكم الصوم وَحَثَّكم على التكبير، لتكونوا بذلك من الشاكرينَ لله تعالى على ما أنعمَ به عليكم من التوفيق والتيسير.

الآية 186: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (ولم يَقُل سبحانه: فقُلْ لهم إني قريب)، لِيُبَيِّنَ للناس أنَّهُ لا يَحتاجُ إلى واسطةٍ بينه وبين خلقِهِ في عبادتِهم له، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾: أي فلْيُطيعوني فيما أمَرتُهُم به ونَهيتُهم عنه ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي حتى يَهتدوا إلى ما فيهِ صلاح دينهم ودنياهم.

♦ وقد نزلتْ هذه الآية حينما سأل بعضُ الصَحَابةِ النبيَ صلى الله عليه وسلم: (يا رسولَ الله، أقريبٌ ربُنا فنُناجيه، أم بعيدٌ فنُنادِيه؟) فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، واعلم أنَّ القُربَ نوعان: قربٌ بعِلمِهِ – سبحانه – وإحاطته مِن كل خلقِه، وقربٌ مِن عابديهِ وداعِيهِ (بالإجابة والمَعُونة والتوفيق والرحمة) (وهذا مِثلما يقول أحدهم: (هذا الرجل مِن المُقرَّبين لَدَيّ) – أي مُقَرَّبٌ منه في المَنزلة والعطاء، وليس مُقَرَّباً منه بجسده)، فمَن دعا ربه بقلبٍ حاضر، ودعاءٍ مشروع (يعني لا يكونُ فيه طلبٌ لمعصية معينة أو قطيعة رَحِم)، ولم يَمنع مانعٌ من إجابة الدعاء (كالرياء وأكْل الحرام) فإنَّ اللهَ تعالى قد وَعدَهُ بالإجابة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 187: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾: أي أحَلَّ اللهُ لكم جماعَ نسائِكم في ليالي رمضان، بعد أن كانَ ذلك مُحَرَّمًا عليكم، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾: أي هُنّ سِترٌ وحِفظٌ لكم من الوقوع في الفاحشة، ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي كنتم تخونون أنفسكم بمخالفة ما كانَ مُحَرَّمًا عليكم من مُجامعة زوجاتكم في ليالي الصيام، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: يعني فلم يؤاخذكم بما فعلتم، ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ بأنْ وَسَّع لكم في الأمر وأباحه لكم ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ في ليالي الصيام ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أي واطلُبوا ما قدَّره اللهُ لكم من الأولاد، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أي حتى يتَّضح ضياء الصباح مِن سَواد الليل، وذلك بظهور الفجر، ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي إلى المغرب ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا﴾ ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾: أي بِمِثل هذا البيان الواضح، يُبين الله آياتِهِ وأحكامه للناس ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

الآية 188: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾: يعني ولا يأكل بعضُكم مالَ بعضٍ بسببٍ باطل، كاليَمين الكاذبة، والسرقة، والرِّبا، والرِّشوة (وهي أخْذ حق بغير حق، نَظير مُقابل مادِّي)، حتى وإنْ وصلَ الأمرُ إلى الحاكم أو القاضي، فيَحْرُمُ أن يُلقي - مَن يريدُ أكْل المال - بالحُجج الباطلة للحاكم أو القاضي، ولذلك قال تعالى: ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾: أي ولا تُلقوا بهذه الأسباب الباطلة (كالرشوة وشهادة الزُّور، والحَلِف الكاذب) إلى الحُكام والقُضاة ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ﴾: أي لتأكلوا قطعة من أموال الناس بالباطل، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حُرمَة ذلك.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

12. تفسير الربع الثاني عشر من سورة البقرة (*)

الآية 189: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ وتغيُّر أحوالِها على مَدَى الشهر، وعن الحِكمة من ذلك، (والأهِلّة: جمع هِلال) ﴿قل هي مواقيتُ للناس والحَجّ﴾: أي هي علامات يَعرفُ الناسُ بها أوقات عباداتِهم المُحدَّدة بوَقت (مثل الصيام والحج)، وأيضًا يَعرفون بها أوقات معاملاتِهم (مثل وقت سَداد الدَّيْن، وغير ذلك)، وقد خَصَّ اللهُ تعالى الحَجَّ بالذِّكر؛ لأنه يقع في أشهُرٍ معلوماتٍ – وهي: شوّال، وذو القعدة، وذو الحِجّة –، ويَستغرقُ أوقاتًا كثيرة.

﴿وليس البرُّ﴾ ما تعوَّدتُم عليه – في الجاهلية وأوّل الإسلام – حِينَ كنتم تُحْرِمُون بالحَجّ أو العُمرة ﴿بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾، فقد كنتم تتسلقون سُور جِدَار البيتِ الحرام، وتدخلونَ مِن ظَهْر البيت، ظانِّينَ أنّ ذلك يُقَرِّبُكُم إلى الله تعالى، فهذا ليسَ من البِرِّ؛ لأنّ اللهَ تعالى لم يُشَرِّع لكم ذلك، وَكُلّ مَن تعبّدَ لله بعبادةٍ لم يشرعها اللهُ ولا رسولُهُ، فهو مُتعبِّدٌ ببِدْعَة، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾: أي ولكنّ الخيرَ هُو فِعْلُ مَنِ اتَّقى اللهَ تعالى واجتنبَ مَعاصِيه، ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ المعتادة؛ لِما في ذلك مِن السهولةِ، التي هي أصْلٌ من أصول الشرع، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي لِتفوزوا بكل ما تحبون مِن خَيرَي الدنيا والآخرة.

الآية 190: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ من المشركين، أمّا المُسالِمينَ لكم فلا تقاتلوهم، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: يعني ولا ترتكبوا ما نَهاكم اللهُ ورسوله عنه (مِن التمثيل بالجُثَث – أي تشويه مَنظرها بعد موتها –، وقَتْلِ النساءِ والصِّبيان والمَرضى والشيخ الكبير والراهب)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ الذين يُجاوزُونَ حُدُودَهُ، ويَستَحِلّونَ ما حَرَّمَ اللهُ ورسوله.

الآية 191: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي حيثُ وجدتُموهُم، ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي مِن مَكّة، ﴿والفتنة﴾ وهي الشركُ بالله، وَصَدّ الناس عن الدخول في الإسلام:

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿أَشَدّ مِن الْقَتْلِ﴾: أي أشدّ مِن قتلِكُم إياهم، ﴿وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ تعظيمًا لِحُرُماتِهِ ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾: أي حتى يَبدؤوكُم بالقتال فيه، ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾ في المسجد الحرام ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فيه، ﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾: أي مِثل ذلك الجزاء الرادع يكونُ جزاء الكافرين.

الآية 192: ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عَن الكُفر وعن قتالِكُم، ودخلوا في الإسلام: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الآية 193: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾: أي واستمِروا في قتال المشركين المُعتدين؛ وذلك ﴿حَتَّى لا تَكُونَ﴾ هناك ﴿فِتْنَةٌ﴾ للمسلمين عن دينهم، وحتى لا يكونَ هناك شركٌ بالله تعالى، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾: أي ويَبقى الدينُ لله وحده - خالصًا - لا يُعْبَدُ معه غيرُه، ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي فالعقوبة لا تكونُ إلا على الظَّالِمِينَ المستمرين على كُفرهِم واعتدائهم.

الآية 194: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: أي قتالكُم للمشركين في الشهر الذي حَرَّم اللهُ القتالَ فيه، هو جزاءٌ لقتالِهم لكم في الشهر الحرام، ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾: يعني والذي يَعتدي على ما حَرَّمَ اللهُ من المكان والزمان، يُعاقَبُ بِمِثل فِعله، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عليكم﴾ ولا حرجَ عليكم في ذلك؛ لأنهم هم البادئون بالعُدوان، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بعدم تجاوُز المُماثلة في العقوبة، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بعَوْنِهِ ونَصْرِهِ.

♦ واعلم أنّ الأشهر الحُرُم هي: (رجب، وذو القعدة، وذو الحِجَّة، والمُحَرَّم)، وقد كانَ العَربُ يُحَرِّمُونَ القتالَ في هذه الأشهُر - وذلك في الجاهليةِ قبلَ الإسلام - فلمَّا جاءَ الإسلامُ أقرَّ ذلك، بل وَعَظَّمَ المَعصِية في هذه الأشهُر، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾.

الآية 195: ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ مِن أموالِكم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يعني في الطرق المُوصلة إلى رضا الله تعالى، وهي كُلّ طرق الخير (مِن صدقةٍ على مسكين، أو قريب، وأعظمُ ذلك - وأوّل ما دَخَلَ في ذلك - هو الإنفاق في الجهاد في سبيل الله؛ لتقويَة المسلمين، وإضعافِ المشركين، فإنّ النفقةَ فيهِ جهادٌ بالمال، وهو فرضٌ كالجهادِ بالبَدَن)، ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ بترك الجهاد في سبيل الله، وعدم الإنفاق فيه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

♦ ولَمّا كانت النفقة في سبيل الله نوعًا من أنواع الإحسان، أمَرَ اللهُ تعالى بالإحسان عمومًا، فقال: ﴿وأحسنوا﴾ – أي في كل أمُوركُم –، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، والإحسانُ – كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مُسلِم –: (أن تعبُدَ اللهَ كأنك تراه، فإنْ لم تكنْ تراهُ، فإنه يَراك).

الآية 196: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: يعني وأدُّوا الحَجّ والعُمرة تامَّيْنِ، خالِصَيْن لوجهِ اللهِ تعالى، ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: يعني فإنْ مَنَعَكُم مانعٌ عن الذهاب لإتمامِهمَا (كالعَدُوّ والمرض)، وذلكَ بعد أن نويتم الدخولَ في النُّسُك: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: أي فالواجب عليكم ذَبْحُ ما تيَسَّرَ لكم من الإبل، أو البقر، أو الغنم.

♦ واعلم أنّ أقلَّ ما يُجزئ في الهَدْي: (شاة (يعني ضأن أو ماعز، ذكر أو أنثى)، أو سُبع بقرة (يعني يُشاركُ ستَّة غيره في ثَمَنِها)، أو سُبع جَمَل)؛ وذلك لكي تَخْرُجوا وتتحَلّلوا مِن إحرامِكُم بحَلق شعر الرأس أو تقصيره، ﴿وَلا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ﴾ إذا كنتم مُحصَرين – أي مَمنُوعين – ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾: أي حتى يَذبح المُحصَرُ هَدْيَهُ في المَوضِع الذي مُنِعَ فيه مِن إتمام النُّسُك، كما نَحَرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في "الحُدَيْبِيَة"، ثم حَلَقَ رأسه، وأمّا غير المُحصَر فلا يَنحَر الهَدْي إلا في الحَرَم (وذلك في يوم العِيد، أو في أيّ يوم من الثلاثة الأيام التي تَلِي يوم العِيد).

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾: يعني فإذا حصل الضرر، بأنْ كانَ هذا المُحصَرُ مَريضًا (ويُرجَى شفاؤهُ إذا حلقَ رأسَه) ﴿أو﴾ كانَ ﴿به أذًى مِن رأسِهِ﴾ مِثل الجُرُوح، والحَشَرة المعروفة بـــ (القمل) ونحو ذلك مِمَّا يَجعله يَحتاجُ إلى الحَلق (وهو مُحْرِم قبل أن يَنحر الهَدْي)، فإنه يَحلق وعليه الفِديَة، وقد ذكَر اللهُ هذه الفِديَة في قوله: ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾: أي يصوم ثلاثة أيام، ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾: يعني أو يتصدق على سِتة مساكين، بحيثُ يُعطي لِكل مسكين منهم نصفَ صاعٍ من طعام، (والصَّاع: هو ما يُقَدّر بـــ 2.5 كيلو جرام تقريبًا)، ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾: يعني أو يَذبح شَاة، ويُوَزِّعها على فقراء الحَرَم (هكذا على سبيل التَخيير، وحَسَب الأيْسَر له: إما الصيام، أو الصدقة، أو الذبح).

﴿فَإِذَا أَمِنْتُم﴾: يعني فإذا كنتم في أمْنٍ وصِحَّة، ولم تُمنَعُوا عن إتمام النُّسُك: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ﴾ منكم ﴿بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ وذلك بأن أحْرَمَ بعُمرةٍ في أشهُر الحج، ثم تَحَلّلَ بعد انتهاء عُمرَتِه (أي فعل ما كانَ مُحَرَّمًا عليه بسبب الإحرام)، ثم بقِيَ في مكة يَنتظرُ الحَجّ، وَحَجَّ فِعلاً: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: أي فعليه ذبْحُ ما تيَسَّرَ مِن الهَدْي (سواء مِن الإبل، أو البقر، أو الغنم)، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هَدْيًا يذبحه: ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي﴾ أشهر ﴿الْحَجِّ﴾ ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهليكم، ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ لابُدَّ من صيامها، ﴿ذَلِكَ﴾: أي ذلك الهَدْيُ وما ترتّبَ عليه من الصيام يكونُ ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي ليسَ أهلُهُ من سُكّان مَكّة، (واعلم أنّ المُقيمين في مَكّة لِعَمَلٍ أو تجارةٍ أو نحو ذلك، فأولئك أيضًا ليسُوا من حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَامِ)، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أموركم، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ومِن ذلكَ امتثالكم لهذه المأمورات، واجتناب هذه المَحظورات المذكورة في هذه الآية، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَن خالفَ أمْرَه وَعَصَاه.

الآية 197: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾: أي وقتُ الحَج أشهرٌ يَعلمها الناس، ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾: يعني فمَن أوْجَبَ على نفسِهِ الحَجّ في هذه الأشهر، وذلك بالإحرام (وهو نِيَّة الدخول في النُّسُك) ﴿فَلا رَفَثَ﴾: يعني فيَحرُمُ عليه الجِمَاعُ، ومُقدِّماتهُ القولية والفِعليَّة، ﴿وَلا فُسُوقَ﴾: أي ويَحرُمُ عليه الخروج عن طاعة الله تعالى بفعل المعاصي ﴿وَلا جِدَالَ﴾: أي ويَحرُمُ عليه الجدالُ الذي يؤدي إلى الغضب والكراهية، كلُّ ذلك حَرَّمَهُ الله ﴿فِي الْحَجِّ﴾.

♦ إذ إنّ المقصود مِن الحَجّ: (الذل والانكسار لله تعالى، والتقرُّب إليه بما أمكنَ مِن القرُبَات، والتنزّه عن فِعل السيئات)، فإنه بذلك يكونُ حَجًّا مَبرورًا، والحَجّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة، واعلم أنّ هذه الأشياء – وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان – فإنها تكونُ أعظمَ إثمًا في الحج.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ وهذا يَتضمن غاية الحَثّ على أفعال الخير، وخصوصًا في تلك البِقاع الشريفة، فإنه ينبغي تدارُك ما أمكنَ تدارُكُهُ فيها مِن صلاةٍ وصدقةٍ وطوافٍ، وغير ذلك، وقد ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّ الصلاة في المسجد الحرام تُعادِلُ مائة ألفِ صلاةٍ في غيره (انظر حديث رقم: 3841 في صحيح الجامع)، ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾: أي وخذوا لأنفسكم زادًا مِن الطعام والشراب والمال لسَفر الحَج؛ (فإنّ الإنسانَ إذا تزوّد: استغنَى عن المخلوقين، وكَفَّ عن سؤالِهم أموالَهُم)، ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾: أي وخذوا أيضًا زادًا مِن صالِح الأعمال للدار الآخرة، فإنّ خيرَ الزادِ: تقوى الله تعالى، فهذا هو الزاد الحقيقي، المستمرُّ نفعُهُ لِصَاحِبِهِ في دُنياهُ وآخِرَته، وهو المُوصلُ لأكْمَلِ لذةٍ، وأسْعَدِ حياةٍ، ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾.

الآية 198: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي لَيْسَ عَلَيْكُمْ إثْمٌ ولا حرج في أن تطلبوا رزقًا من ربكم (بالربح مِن التجارة وغيرها) في أيام الحج، ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾: يعني فإذا دُفِعتم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

– مع الزحام – راجعينَ ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ وهي المكان الذي يقف فيه الحُجّاج يومَ التاسع مِن ذي الحِجَّة، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتسبيح والتلبية والدعاء ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ وهو المُزدَلفة، ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أي كما مَنَّ عليكم بالهدايةِ بعدَ الضلال، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي مِن قبل هذا الهُدى ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾: أي كنتم في ضلالٍ لا تَعرفونَ معهُ الحق.

الآية 199: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾: يعني وَليَكُن اندفاعُكُم مِن مُزدَلفة، التي أفاضَ منها إبراهيمُ عليه السلام، مُخالِفينَ بذلكَ مَن لا يَقف بها مِن أهل الجاهلية، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ مِن الخَلَل والتقصير الذي وَقَعَ منكم في عبادة الحَجّ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لعبادِهِ المُستغفِرين التائبين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

الآية 200: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾: يعني فإذا فرَغتم من أعمال الحج: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾: أي فأكثِروا مِن ذِكر اللهِ والثناء عليه، مِثل ذِكْركم مَفاخِر آبائكم وأعظم من ذلك.

♦ ثم أخبَرَ تعالى عن أحوال الخَلق، وأنَّ الجميع يَسألونه مَطالبهم، ولكنّ مَقاصدهم تختلف: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ﴾ يَجعل هَمَّهُ الدنيا فقط، فـ ﴿يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ أي صِحَّةً ومالاً وأولادًا وغير ذلك، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾: أي وليس له حَظٌّ ولا نصيب في نعيم الآخرة؛ لعدم رغبته فيها ولأنّ هَمَّهُ كانَ مُقتصراً على الدنيا.

الآية 201: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي زوجةً صالحة، وصِحَّةً ورزقًا، وولداً صالحاً، وعِلمًا نافعًا، وعملاً مُتقبَّلاً، وغير ذلك من أمور الدِّين والدنيا، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ أي الجنة، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

الآية 202: ﴿أُولَئِكَ﴾ الداعُون بهذا الدعاء ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾: أي لهم ثوابٌ عظيم، بسبب ما كَسَبُوهُ من الأعمال الصالحة (ولذلك ينبغي للعبد أن يُكثِرَ مِن قول هذا الدعاء، كما كانَ يفعل النبي صلى الله عليه وسلم)، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لا يُعجزُهُ إحصاءُ أعمالِهم، ومُحاسبتهم عليها.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

13. تفسير الربع الثالث عشر من سورة البقرة (*)

الآية 203: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ تسبيحًا وتحميدًا وتهليلاً وتكبيرًا ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾: يعني في أيامٍ قلائِل، وهي أيام التشريق: (الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر) مِن شهر ذي الحِجَّة، التي هي: (ثاني وثالث ورابع) أيام عِيد الأضحى، ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾: يعني فمَن أرادَ التعَجُّل، والخروج مِن "مِنَى" (وهو المكان الذي يَرمي فيه الحُجَّاج الجَمَرَات)، فإذا خرج الحاجُّ منها قبل غروب شمس ثالث أيام عيد الأضحى، بعد رَمْي الجِمَار ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ بأنْ باتَ بـــ "مِنَى" حتى يَرمي الجِمار في رابع أيام عِيد الأضحى ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ اللهَ في حجِّه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ بعدَ موتِكم للحِساب والجزاء.

الآية 204: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: أي ومِن المنافقينَ ﴿مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ الفصيح ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي إذا تحدث في أمْرٍ من أمور الدنيا، بخِلافِ أمُور الآخرة، فإنه يَجْهَلُهَا، ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾: أي يُخبرُكَ أنَّ اللهَ يَعلم ما في قلبهِ مِن مَحبَّة الإسلام، وذلك بأن يقولُ للرسول صلى الله عليه وسلم: (يَعلمُ اللهُ أني مُؤمن، ويَشهَدُ اللهُ أني أحِبُّك)، وهو كاذب؛ لأنَّ فِعلهُ يُخالِفُ قوْله، وفي هذا غاية الجُرأة على الله، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: أي وهو شديدُ العَداوةِ للإسلام والمسلمين.

الآية 205: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾: يعني وإذا خرجَ هذا المنافق مِن عندِكَ أيها الرسول: ﴿سَعَى﴾: أي جَدَّ ونَشِطَ ﴿فِي الأَرْضِ لِيُفسِدَ فِيهَا﴾ ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾: أي ويُتلِف زروعَ الناس، ويَقتل ماشِيَتهُم ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾.

الآية 206: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ واحْذرْ عقابَهُ، وكُفَّ عن الفسادِ في الأرض، ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾: أي لم يَقبل النصيحة، بل يَحمِلُهُ الكِبْرُ على مَزيدٍ من الآثام، ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾: أي يَكفيهِ

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

- واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عذابُ جَهَنَّم، التي هي دار العاصين والمتكبرين، ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: أي وهي بِئسَ الفِراش والمُستقَر.

الآية 207: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾ أي يَبيعُ ﴿نَفْسَهُ﴾ بالجهادِ في سبيل الله، والتزامِ طاعتِهِ ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾: أي طلبًا لرضا الله عنه، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ يَرحمُ عبادهُ المؤمنين رحمة واسعة، ويُجازيهم أحسنَ الجزاء.

الآية 208: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ – وهو الإسلام – ﴿كَافَّةً﴾: أي ادخلوا في جميع شرائع الإسلام، عاملينَ بجميع أحكامِه، ولا تتركوا منها شيئًا، ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: أي ولا تتبعوا طرُقَ الشيطان فيما يَدعوكُم إليهِ من المعاصي، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ فاحذرُوه، وأغلِقوا عليهِ أيَّ بابٍ يأتِيكُم مِنه.

الآية 209: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: يعني فإن انحرفتم عن طريق الحق، مِن بعد ما جاءتكم الحُجَج الواضحة مِن القرآن والسُنَّة: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي قاهِرٌ لِكُل شيءٍ، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تصرفِهِ وَشَرعِهِ وتدبيره (يضعُ كُلَّ شيءٍ في مَوضِعِه)، وفي هذا مِن الوَعيد والتخويفِ ما يُوجِبُ ترْكَ المعاصي والإعراض عن الحق، فإنَّ العزيزَ الحكيمَ إذا عَصَاهُ العاصِي – ولم يَتُب – قهَرَهُ بقوّتِهِ، وَعَذبَهُ بعَدلِهِ وحِكْمَتِهِ، فإنَّ مِن حِكمتِهِ: تعذيبَ العُصاةِ والكافرين.

الآية 210: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: يعني هل يَنتظرُ هؤلاء المعاندونَ الكافرونَ ﴿إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ عَزَّ وَجَلَّ يومَ القيامةِ لِيَفصِلَ بينهم بالقضاءِ العادل – إتيانًا حقيقيًّا بذاتِهِ على الوَجْهِ اللائق بهِ سُبحانه – وليسَ كما يقولُ البعضُ بأنه يأتِي أمرُهُ فقط، ففي صحيح مُسلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال – وهو يتحدث عن يوم القيامة –: (حتى إذا لم يَبْقَ إلاَّ مَن كان يَعْبُدُ اللَّهَ تعالى مِن بَرٍّ وفاجر: أتاهم رَبُّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنَى صورةٍ مِن التي رأوهُ فيها)، ﴿فِي ظُلَلٍ﴾: أي معَ ظُللٍ – وهي جَمْع ظُلَّة – ﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾ أي مِن السَّحاب الأبيض الرقيق، ﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾: أي وستأتي الملائكةُ الكِرَام، فتحِيطُ بالخَلائق، ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾: يعني وحينئذٍ يَقضي اللهُ تعالى فيهم أمرَهُ وقضاءَهُ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾: أي ومَصير جميع الخلائق إلى اللهِ وَحدَهُ، فيُجازي كُلاًّ على قدْر استحقاقِه، إنْ خَيرًا فخَيرٌ، وإنْ شَرًّا فشَرٌّ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 211: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ المُعاندين لك: ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾: يعني كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِن علاماتٍ واضحاتٍ كثيرة في كُتُبِهم تهديهم إلى الحق، فكفروا بها كلها، وأعرضوا عنها، وحَرَّفوها عن مَوَاضِعِهَا، ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ – وهي دِينهُ – ويَكفر بها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾: أي مِن بعدِ مَعرفتِها، وقيام الحُجَّةِ عليهِ بها، ﴿فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ له.

الآية 212: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ وما فيها من الشهوات والمَلذات الفانيَة، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يعني وهؤلاء الذين اتقوْا ربَّهُم – مِن المؤمنين – فوقَ جميع الكفار يوم القيامة، حيثُ يُدخلهم اللهُ أعلى درجات الجنة، ويُنزِلُ الكافرين أسفل دَرَكَات النار، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي بغير عدد ولا حَدّ، وذلك لِوَاسِعِ فضلِهِ سبحانه وتعالى.

الآية 213: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي جماعة واحدة متفقين على الإيمان بالله، ثم اختلفوا في دِينهم، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي الكُتب السماوية ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذي اشتملتْ عليه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: أي لِيَحكُمَ النَّبِيُّونَ – بما في هذه الكتب – بين الناس فيما اختلفوا فيه، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: يعني إلا الذين أعطاهُمُ اللهُ الكتاب (أي التَوْراة) وهُم اليهود ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي ظلمًا وحسدًا؛ لأنهم كانوا يَرجُون أن يكون هذا النبي مِن بني إسرائيل وليس مِن العرب، ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾: أي فوَفَّقَ اللهُ المؤمنين بفضلِهِ إلى تمييز الحق مِن الباطل، ومَعرفة ما اختلفوا فيه ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

الآية 214: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ دونَ أن تُبْتَلُوا؟ ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أي ولا بُدَّ أن يُصِيبَكُم – مِن الابتلاء – مِثلُ ما أصابَ المؤمنين الذين مَضوا مِن قبلِكم، فقد ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾: أي أصابهم الفقر والأمراض، ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ بأنواع المَخاوف والابتلاءات، ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ – على سبيل الاستعجال للنصر مِن اللهِ تعالى –: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾؟ ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ من المؤمنين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 215: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي يَسألك أصحابك ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ مِن أصناف أموالِهم تقرُّبًا إلى الله تعالى، وعلى مَن يُنفقون؟ ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ يعني أنفِقوا أيَّ خيرٍ يَتيسر لكم مِن أصناف المال الحلال، واجعلوا نفقتكم: ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ أي أقربائكم ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ وسيُجازيكم عليه.

الآية 216: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ لِمَشقَتِهِ وكثرة مَخاطره - وهوَ مَكروهٌ مِن جهة الطبْع البشري الذي يُحِب الحياة ويَكرهُ الموتَ - ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ﴾ في حقيقتِه ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ إذ إنَّ الشهادة في سبيل الله تتسبَّبُ في غفران جميع الذنوب - إلا الدَّيْن وحقوق العِباد - وكذلك تتسبَّبُ في النجاة من عذاب النار وعذاب القبر، والفوز بالجنة، ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ لِمَا فيهِ مِن الراحة أو اللذة العاجلة ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خيرٌ لكم ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فبادِروا إلى الجهاد في سبيلِه - وذلكَ بعد إذنٍ مِن وليِّ الأمر (وهو حاكم البلد) - فبِمَا أنها مَوتةٌ واحدة، فلتكُنْ لله جَلَّ وَعَلا؛ حتى تكونَ كَلِمَتُهُ هي العُليا، وذلكَ بأن يُعبَدَ ولا يُعبَد غيرُه.

♦ وفي هذه الآية: تصبيرٌ لِكُلِّ مَن كانَ يَظنُّ أنَّ الخيرَ في أمرٍ ما، ثم لم يَتحقق له ذلك الأمر، فإنه لا بد أن يَعلمَ أنَّ الإنسانَ جاهِلٌ بما فيه الخير والمَصلحة؛ لأنه لا يَعلمُ الغيبَ، فعليه أن يُفوِّضَ أمرَهُ كُلهُ لله تعالى، الذي يَعلمُ الغيبَ وحدهُ، والذي يَعلمُ أين الخير؛ ولذلك قال تعالى بعدها: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

الآية 217: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ أي: هل يَحِلُّ القتال فيه؟ ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: أي عظيمٌ - في حُرمَتِهِ - عند الله تعالى، ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي واعلموا أنَّ مَنْعَكُمُ الناسَ - بالتعذيب والتخويف - مِن الدخول في سبيل الله ﴿وهو الإسلام﴾، ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾: يعني وأنَّ جُحُودَكُم بالله وبرسولِه وبدينه، ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: يعني وَأنَّ صَدَّكُمُ الناسَ عن دخول المسجد الحرام، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾: يعني وأنَّ إخراجَ النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين منه - وهُم أهله وأولياؤه -، كُلُّ ذلك ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ذنبًا، وأعظمُ جُرمًا مِن القتال في الشهر الحرام، ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ وهي الشِرك الذي أنتم عليه ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ في الشهر الحرام ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ تحقيقَ ذلك ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ ﴿وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

الآية 218: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسولِهِ وعَمِلوا بشرْعِهِ، ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ وتركوا ديارَهُم ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ ولا يَرجُونَ أعمالهم؛ لأنهم يَعلمونَ أنه مهما عَظُمَت أعمالُهُم، فإنها لا تَعْظُمُ على العظيمِ جَلَّ جلالُه، وأنهم لن يَدخلوا الجنة بأعمالهم، إنما يَدخلونها – فقط – برحمةِ الله تعالى لهم.

♦ وفي هذا إرشادٌ إلى عدم الإعجاب والاغترار بالعمل، فإنَّ العبدَ لا يدري: هل قُبِلَ العملُ منه أو لا؟ وإنْ قُبِلَ منه، فلا يدري: هل فعَلَ شيئاً مِن مُحبِطات الأعمال أم لا؟، ولذلك ينبغي لِلعبدِ أن يَعملَ العمل، ثم يرجو رحمة ربه، فيقولُ مَثلاً: ﴿يا ربِّ، أنا أعلمُ أنَّ هذا العمل لا يَستحِقُّ أن يُعرَضَ عليكَ، فضلاً عن أن يُقبَل، ولكني أعلمُ أنك كريم، فاقبلهُ يا ربِّ رَحمَةً مِنكَ وَفضلاً﴾، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِذنوب عِبادِهِ المؤمنينَ التائبين، ﴿رَحِيمٌ﴾ بمَن اتَّقاهُ، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ وقال – أيضا –: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

♦ فعَلى العَبدِ أن يأخُذَ بأسباب هذه الرحمة، وذلك بأنْ يَتقي اللهَ قدرَ المُستَطاع، وألاَّ يُصِرَّ على مَعصيَتِه، وإذا وقعَ في ذنبٍ ما، فعليهِ أن يُسارعَ بالتوبةِ (بندمٍ صادقٍ على ما فات، وبعَزمٍ قويّ – وإصرارٍ مُؤَكَّد – على عدم العودة إلى الذنوب مرة أخرى)، فقد قال تعالى في وَصْفِ عبادِهِ المتقين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

14. تفسير الربع الرابع عشر من سورة البقرة (*)

الآية 219، والآية 220: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ﴾ حُكم تعاطِي ﴿الْخَمْرِ﴾ شُربًا وبَيعًا وشِراءً، (والخمرُ هو كل مُسكِرٍ غَطَّى العقلَ وأذهَبَهُ – مشروبًا كانَ أو مَأكولاً، أو تَمَّ إدخالهُ للجسَد بأي وَسِيلة)، ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾: أي ويسألونك عن حُكم القِمار (وهو أَخْذُ المال أو إعطاؤه بالمُقامَرة، وهي المُغالَبات التي فيها عِوَض من الطرفين)، ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: يعني فيهما أضرارٌ ومَفاسدُ كثيرة في الدِين والدنيا، والعقول والأموال، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: أي وفيهما منافعُ للناس مِن جهة كَسْب الأموال وغير ذلك، ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ إذ يَصُدَّان عن ذِكر اللهِ وعن الصلاة، ويُوقعان العداوة والبَغضاء بين الناس، ويُتلِفان المال، وكان هذا تمهيدًا لتحريمِهِمَا.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾: أي يسألونك عن القَدْر الذي يُنفقونه مِن أموالِهم تبرُعًا وصدقة، ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾: أي أنفِقوا القَدْر الذي يَزيدُ على حاجاتِكم الضرورية ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لعلكم تتفكرونَ﴾ فيما يَنفعُكم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ كيف يتصرفون معهم في مَعاشهم وأموالهم؟ ﴿قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾: أي إصلاحُكم لهم خيرٌ، فافعلوا الأنفعَ لهم دائمًا، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ في سائر شؤون المعاش: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾: أي فهُم إخوانكم في الدِين، وعلى الأخ أن يُراعي مصلحة أخيه؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في الصَحِيحَيْن (البخاري ومُسلِم)- : (لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنفسه)، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ المُضَيِّع لأموال اليتامى ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ الحريص على إصلاحها، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ﴾: أي لضيَّقَ وشَقَّ عليكم بتحريم مُخالطةِ أموالِهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

الآية 221: ﴿وَلا تَنكِحُوا﴾: أي ولا تتزوجوا ﴿الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾: أي حتى يَدخُلنَ في الإسلام، ﴿وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ﴾: أي واعلموا أنَّ امرأة مَمْلوكَة لا مال لها ولا حَسَب، ولكنها مؤمنةً

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾ حُرَّة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ هذه المُشركة الحُرّة، ﴿وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾: أي ولا تُزوِّجوا نساءَكُم المؤمنات – إماءً كانوا أو حَرائِر – للمشركين ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ بالله ورسوله، ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ﴾ – وإنْ كانَ فقيرًا – ﴿خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُم﴾ هذا المُشرك، ﴿أُوْلَئِكَ﴾ المُتصِفون بالشِرك – رجالاً ونساءً ﴿يَدْعُونَ﴾ كل مَن يُعاشرُهم ﴿إِلَى النَّارِ﴾: أي إلى ما يُؤدي به إلى النار، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو﴾ عباده إلى دينِهِ الحق، المُؤَدِّي بهم ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ ومَشيئتِهِ، فهو سُبحانهُ يَهدي مَن يشاءُ بفضلِهِ ورحمتِه، ويُضِلُّ مَن يشاءُ بعَدْلِهِ وحكمته، وقد أخبرَ تعالى – في آياتٍ أخَر – أنه يَهدِي إليهِ مَن أنابَ (أي رَجَعَ إليه تائبًا)، وأنه يُضِلُّ الظالمين، ويُضِلُّ الفاسقين، ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فيَعتبروا.

الآية 222: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ – وهو الدَم الذي يَسيلُ من رَحِمُ المرأة بعد بلوغها في أوقاتٍ مُعتادة، وهو دَمٌ طبيعيٌّ، ليسَ له سببٌ مِن مَرَضٍ، أو جُرْحٍ، أو سُقوطٍ، أو ولادَة – ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: أي مُستقذَرٌ يَضُرُّ مَن يَقْرَبُه، ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾: أي فاجتنبوا جِمَاع النساء مُدَّة الحَيْض، ﴿وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ أي حتى يَنقطِعَ الدم عنهُنَّ، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ بالماء واغتسلنَ ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ وهو القبُل لا الدُّبُر، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ المُكثِرين من الاستغفار والتوبة، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ الذين يَبتعدون عن الفواحش والأقذار.

الآية 223: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي مَوضِع زرْعٍ لكم، تضَعُونَ النُّطفة في أرحامِهِنَّ، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ يعني بأيّ كَيْفِيَّةٍ شِئتم، طالما أنَّ ذلك في مَحِلِّ الجماع، وهو القبُل، ﴿وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ﴾ أعمالاً صالحة، ومِن هذه الأعمال: (تحصينُ النفس والزوجة بالجماع، وإنجابُ الأولاد الصالحين الذين يُوَحِّدُونَ اللهَ تعالى، ويَدعُونَ – طوالَ حياتِهم – لوالدَيْهِم).

♦ وقد قال بعضُ المُفسِّرين في قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ﴾ أي وابدؤوا بالمُدَاعَبَة والمُلاطفة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بمُراعاة أوامِرِهِ وَحُدودِه، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ﴾ فلا تَغفلوا عن ذِكْرِهِ وطاعتِهِ؛ إذ إنَّ هذا هو الزادُ الذي ينفعُكُم يومَ تقفونَ بينَ يَدَيهِ سُبحانه، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بما يُفرِّحُهُم وَيَسُرُّهُم مِن حُسن الجزاء في الآخرة.

الآية 224: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ﴾: أي ولا تجعلوا حَلِفَكُم باللهِ مانعًا لكم مِن ﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾، وذلكَ بأن تُدْعَوا إلى فعل شيءٍ مِن هذه الأشياء: (البِرّ – وهو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أيُّ فِعل مِن أفعال الخير -، والتقوى، والإصلاح بينَ الناس)، فتحْتَجُّوا بأنكم قد أقسمتم باللهِ ألاَّ تفعلوا ذلك، بل على الحالِفِ أن يَرجِعَ عن حَلِفِهِ، ويَفعل أفعالَ البرِّ، ويُكَفِّرَ عن يَمِينِهِ، ولا يَعتاد ذلك، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالِكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بجميع أحوالِكم.

الآية 225: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: أي لا يُعاقِبُكمُ اللهُ بسبب أيمانِكُم التي تحلفونها بغير قصد؛ وذلك بأنْ يَذكُرَ الإنسان لفظ الجَلالة بصيغةِ القَسَم (وَاللهِ)، ولكنْ - ليسَ في نِيَّتِهِ - عقد اليَمين، كأنْ يُقَدِّمَ طعامًا لِضَيفِهِ، ويقول له: (وَاللهِ لَتأكُلنَّ)، وهو ليسَ في نِيَّتِهِ القسَم، وكذلك أن يَحلفَ الإنسانُ على شيءٍ يَظُنُّهُ كَذا، ثم يَتبَيَّنُ لهُ خِلافُ ما ظَنَّ، مِثلَ أنْ يقول: (واللهِ ليسَ في جَيْبي دِرْهَمٌ ولا دِينارٌ)، وهو ظانٌّ - أو جازمٌ - أنه ليسَ في جيبِهِ شيءٌ مِن ذلك، ثم يَجدهُ، فهذا لا يؤاخذكم اللهُ عليه.

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: أي بما قصدَتْه قلوبُكُم مِن الإثم، وذلك كأن يَحلِفَ المرءُ باللهِ - كَذِبًا - ليَأخُذَ حَقَّ أخيهِ المُسلِم بيمينِهِ الكاذبة، فهذه هي اليَمِين الغَمُوس، التي تغمِسُ صاحبَها في الإثم، ثم تغمِسُهُ في النار، وهذه لا تنفعُ فيها كفارة اليَمين - وهي الكفارة المَشروعة لِمَن حَلفَ حَلِفًا ثم نَقضَهُ - وإنما على صاحب اليَمين الغمُوس: التوبة؛ وذلك بتكذيب نفسه، والاعتراف بذنبه، ورَدِّ الحق الذي أخذهُ إلى صاحبه، وبذلكَ يغفرُ اللهُ له ﴿وَاللَّهُ غفورٌ﴾ لِمَن تابَ مِن ذنوبه، ﴿حليمٌ﴾ على عبادِهِ؛ حيثُ لم يُعاجل مَن عَصاهُ بالعقوبة.

الآية 226: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِسَائِهِمْ﴾ يعني: على الذين يَحلِفون باللهِ ألاَّ يُجامِعُوا نساءَهم: ﴿تَرَبُّصُ﴾: أي انتظار ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ ﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾: يعني فإن رجعوا - عن حَلِفِهم - وجامَعوا نِساءهُم قبل فوات الأشهر الأربعة: ﴿فَإِنَّ اللهَ غفورٌ﴾ لِما وقعَ منهم مِن الرجوع عن الحَلِف، وكذلك يَغفرُ لهم ما ارتكبوهُ مِن الذنب في حَق نسائِهم، ﴿رحيمٌ﴾ بهم؛ حيث جَعلَ لأيْمانِهِم كفارة، ولم يجعلها لازمة لهم غير قابلة للانفِكاك، ورحيمٌ بهم أيضًا بسبب توبتهم؛ حيثُ رجعوا إلى زوجاتهم، وَحَنُّوا عليهنَّ وَرَحِمُوهُنَّ.

الآية 227: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ﴾: يعني وإنْ أصَرُّوا على الطلاق (وذلك باستمرارهِم في اليَمين وترْكِ الجِمَاع) فقد وَجَبَ على الزوج أن يُطَلِّقَ زَوجته، وإلاَّ أجبرَهُ الحاكم - أو القاضي - على تَطليقِها، فإن رفض: طلقهَا القاضي عليه، ﴿فَإِنَّ اللهَ سميعٌ عليم﴾: أي وليَعلمْ مَن يَحلِفُ هذا الحَلِف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنَّ اللهَ سميعٌ لأقوالِهم، عليمٌ بمقاصِدِهم السيئة، وسيُجازيهم على ذلكَ فليَحذروه، وفي هذا وَعِيدٌ وتهديدٌ لِمَنْ يَحلف هذا الحَلِف ويَقصِدُ به الإضرارَ بزوجته.

♦ واعلم أنَّ الطَّلاقَ هو: فكُّ رابطةِ الزوجية؛ وذلكَ بقوْلِ الزوج: (هي طالِق أو: هي مُطلقة أو: طلقتُكِ)، وأمّا إذا عَلقَ الزوجُ الطلاقَ بشرطٍ ما، كأن يقولَ مَثلاً: (إنْ تفعلِي كذا: تكُوني طالقًا)، فقد أفتى الشَيْخُ مصطفى العَدَويُّ – أثابهُ الله – بأنَّ هذا لا يَقَعُ طلاقًا، وإنما عليهِ أن يُكَفِّرَ كفارة يَمِين (وذلكَ بأن يُطعِمَ عشرة مساكين – وَجبة مُشبِعة – مِن أوْسَطِ طعام بَيتِه، أو أن يَكسوَهُم (سواء كانَ الكِساء قديمًا أو جديدًا، المُهمُّ أن يكون يَصلح – لهم – للارتداء)، أو أن يَعتقَ عبدًا أو جارية، فمَن لم يستطعْ إطعامَ المساكين أو كِسوَتَهم – بسبب فقرِهِ مثلاً – وكذلك لم يَجدْ عبدًا يعتقه: فعليه أن يصومَ ثلاثة أيام)، وعليهِ ألاَّ يَعتاد ذلك القول، حتى لا يقع في الإثم؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ (وبالطبع لا نُنكِرُ على مَن يأخذ بالرأي الآخَر في هذه المَسألة، فإنَّ ذلك الأمرَ – وهو وقوع الطلاق مِن عَدَمِهِ بسبب ذلك القول – هو مَحلٌّ خِلاف مُعتبَر بين العلماء).

الآية 228: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ اللاتِي ما زالَ يَنزلُ عليهنَّ الحَيْض، (أي لم يَبلُغنَ ما يُعرَفُ بـــ (سِنِّ اليأس)، وكذلك لم يَستأصِلنَ الرَّحِم – أو غير ذلك – مما يتسبَّب في انقطاع الحَيض عنهُنَّ)، فهؤلاء يَجب عليهنَّ – بعدَ الطلاق – أن ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: أي يَنتظِرنَ ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ – دونَ زواجٍ مِن رجلٍ آخر، وذلك لِمُدَّةِ: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾: أي ثلاث حَيْضات (وذلك على الراجح من أقوال العلماء)، بمعنى أن يَمُرَّ عليها الحَيْض ثلاث مرات، تبدأ في عَدِّ هذه الحَيْضات الثلاث مِن لحظة وقوع الطلاق، فإذا أتَى عليها الحَيْض بعد الطلاق ولو بلحظة: احتسبت هذه الحَيضة من الحَيْضات الثلاث، أمّا إذا طلقها الزوج وهي حائض: فإنها لا تحتسب هذه الحَيْضة – التي وقع فيها الطلاق – مِن الثلاث حَيْضات.

♦ واعلم أنَّ تلك المُدَّة تكونُ على سبيل العِدَّة (وهي المدة التي تنتظر فيها المرأة دونَ زواجٍ مِن رجل آخر)؛ وذلك للتأكُد مِن فراغ الرَحِم مِن الحَمل، وكذلك لإعطاء الفرصة للزوجين في التروِّي والرجوع إلى بناء الأسرة المُتهَدِّمة بسبب الطلاق، وكذلك لضمان استحقاق الزوجة للنفقة والسَّكَن – مِن الزوج – ما دامت في العِدَّة، (وأما حُكم المُطلَّقة التي لا يَنزل عليها الحَيْض – وكذلك التي لم تبلغ سِنَّ الحَيْضِ بعد –: فهؤلاءِ عِدَتُهُنَّ ثلاثة أشهُر، تبدأ مِن لحظة وقوع الطلاق،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما المُطلَّقات الحَوَامِل: فإنَّ عدَّتهنّ تنتهي بوضْع الحملِ، وأما المُطلَّقات اللاتِي لم يُدخَلْ بهنَّ بعد: فليسَ لهنَّ عِدَّة، وأما المُطلَّقات الإماء (أي الجَواري): فعِدَّتُهنَّ حَيْضَتان فقط (كما هُوَ قوْلُ الصحابةِ رضِيَ اللهُ عنهم).

﴿وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ﴾: أي يُخفِينَ ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ مِن الحَمْل أو الحَيْض، لأنّ كِتمانَها لِلحَمْل – استعجالاً منها لانقضاء العِدَّة – يؤدي إلى اختلاط الأنساب؛ لأنها ستُلْحِقُهُ بغير أبيهِ، مِمَّا سيُؤدي إلى أنْ يقطَعَ هذا المَوْلُود – الذي في بطنِها – رَحِمَهُ الأصلي، وأنْ يُحرَمَ مِن حَقِّهِ في مِيراث أبيهِ الحقيقي، وَمِن الممكن أن يتزوجَ أحد مَحارمِهِ دونَ أن يعلم، وغير ذلك مِما فيهِ مِن الشر والفساد، ما لا يَعلمه إلا ربُّ العِباد.

♦ وأما كِتمانُ الحَيْض؛ وذلك بأنْ تخبر أنَّ الحَيْضات الثلاث قد أتتها – كَذِبًا منها واستعجالاً لانتهاء العِدَّة – فهذا يؤدي إلى انقطاع حق الزوج عنها، وإباحة نفسها لغيره، وما يَتفرع عن ذلك مِن الشَر الذي ذكرناهُ من اختلاط الأنساب وغير ذلك، وأما إنْ أخبرَتْ بعدم اكتمال الحَيْضات الثلاث (وهنّ قد اكتملنَ) – كَذبًا منها لتطويل العِدَّة – حتى تأخذ مِن الزوجِ نفقة غير واجبة عليه، بل هي حرامٌ عليها، وربما راجَعَها وهو لا يَعلم بمرور الحَيْضات الثلاث، فيكونُ ذلك زنًا؛ لِكَوْنها أصبحتْ أجنبية عنهُ، فلهذا قال تعالى: ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ لأنَّ صُدُورَ الكِتمان مِنهُنَّ: دليلٌ على عدم إيمانهنَّ بالله واليوم الآخر، وإلاَّ، فلو آمَنَّ باللهِ واليوم الآخِر، وَعَرَفنَ أنهنَّ مَجْزِيَّاتٌ عن أعمالِهنَّ: لم يَصدرْ مِنهُنَّ ذلك الكِتمان.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: يعني وأزواج هؤلاء المطلقات ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: يعني لهم الحق في مُراجعتِهنَّ في ذَلِكَ الوقت (وهو وقت الانتظار أو وقت العِدة) وذلك بأن يقول لها: (راجَعْتُكِ)، أو يُجامِعَها، هذا ﴿إِنْ أَرَادُوا﴾ بتلك المُراجَعَة: ﴿إِصْلاحًا﴾ وخيرًا، ولا يَحِلُّ أن تكونَ المُراجَعَة بقصدِ الإضرار – تعذيبًا لهُنَّ بتطويل العِدَّة – وذلك بأن يُطلِقها، ثم ينتظر إلى قبل انتهاء العِدَّة فيُراجعها، ثم يَعُودُ فيُطلقها مرة أخرى وهكذا، ﴿وَلَهُنَّ﴾ مِن الحقوق والواجبات ﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ للزوج ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: يعني على الوجه المُستَحْسَن شَرْعًا وعُرفًا، وقد قال ابنُ عباس رَضِيَ اللهُ عنهما في هذه الآية: "إني لأحِبُّ أن أتزيَّنَ لامرأتي، كما أحِبُّ أن تتزين لي"، ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي مَنزلة زائدة، مِن القوامَة على البيت، ومِلكُ الطلاق، ومَنصِبُ النُّبوة والقضاء والإمامة، وغير ذلك، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 229: ﴿الطَّلاقُ﴾ الذي تحصُلُ بهِ الرَجْعَة ﴿مَرَّتَانِ﴾ ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾: أي فحُكْمُ اللهِ بعدَ كلِ طلقةٍ منهما هو: مراجعة المرأةِ بالمعروف (يعني يُحسِن معاملتها بعدَ مُراجَعتِها)، ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾: يعني أو تَخلِيَة سبيلِها، معَ حُسْنِ مُعاملتِها – بأداءِ حقوقِها، وألاَّ يَذكُرهَا مُطلِّقُهَا بسُوء، ﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ مِن المَهْر ونحوه، إلا في حالةٍ واحدة وهي: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي الزوجان ﴿أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: يعني ألاَّ يَقوما بالحقوق الزوجية، وألاَّ يقوما بما يَجب عليهما مِن طاعةِ اللهِ تعالى واجتناب مَعصيتِه، أو أن تكرَهَ المرأة زوجَها ولا تُطِق البقاءَ معه، فحينئذٍ يَعرِضان أمرَهُما على أولياء الزوج والزوجة، أو القاضي، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ أي فلا حرجَ على الزوجين فيما تدفعُهُ المرأة للزوج مقابل طلاقِها، وهو ما يُسَمَّى بـــ (الخُلع)، ويكونُ الزوجُ في هذه الحالة غيرُ ظالمٍ لها في أخْذِ هذا المال لأنها دفعتهُ له برضاها، (واعلم أنّ عِدَّة المُختلعَة: ثلاثة قروء مثل عِدَّة المُطلقة، وهذا هو قول الجمهور).

﴿تلك﴾: أي ما سبقَ مِن التشريعات والأحكام هي ﴿حدودُ اللهِ﴾ الفاصلة بين الحلال والحرام، ﴿فَلا تَعْتَدُوهَا﴾: أي فلا تتجاوزوها، ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هم الظالمون﴾ لأنفسهم بتعريضِها لعذاب الله، (واعلم أنَّ الظلم ثلاثة أقسام: (الظلمُ الأكبَر (وهو الشِّرك)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عظيمٌ﴾ وهذا لا يُغفَرُ للعبدِ إلا بالتوبةِ منه)، (وظلمُ العبدِ لأخيهِ، وهذا لابد أن يَرُدّ الحقوق لأصحابها، أو أن يَطلب مسامحتهم، أو أن يَتصدق بنيَّة أن يَصل الثواب إليهم – هذا إن لم يَستطع الوصول إليهم)، (وظلمُ العبدِ لِنفسِهِ بتعدي حَدٍّ مِن حدودِ اللهِ تعالى، فإنْ تابَ العبدُ، وقبِلَ اللهُ تَوْبَتَهُ: فإنَّ اللهَ يَغفِرُ له، وأما إذا لم يَتُبْ: فهذا أمْرُهُ إلى الله، إنْ شاءَ عَذّبَهُ، وإنْ شاء غفرَ له).

الآية 230: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ زوجُها الطلقة الثالثة ﴿فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ زواجًا صحيحًا يُجامِعُها فيه، ويكون الزواجُ عن رَغبةٍ، لا بنيَّةِ تحليل المرأةِ لزوجها الأول؛ لأنَّ هذا مِن الكبائر، وبالطبع يكون هذا الزواج بعد انتهاء عِدَّتها، ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوجُ الآخرُ – أو ماتَ عنها – وانقضت عِدَّتها: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: أي فلا حرج على المرأة وزوجُها الأول ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ بعقدٍ جديدٍ، ومَهرٍ جديد، هذا ﴿إِنْ ظَنَّا﴾: أي غلبَ على ظنِهما ﴿أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾، وأن تطِيبَ العِشرَة بينهما، وألا يتكرَّر ذلك الاعتداء الذي أدَّى إلى الطلاق ثلاث مرات،

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يبينها لقوم يعلمونَ﴾ أحكامَهُ وحدوده؛ لأنَّ العالِمِين بها هم الذين ينتفعون بتلك الأحكام، فيقفون عندها ولا يتعدونها، فيَسْلمونَ بذلكَ مِن الظلم وعقوبة الظالمين.

الآية 231: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أقلّ من ثلاث طلقات (يعني طلاقًا رَجعيًّا بواحدةٍ أو ثِنتيْن)، ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي فقاربَتْ عِدَّتُهنّ أن تنتهي: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: أي فراجعُوهُنَّ، وَفي نِيَّتِكُم: (حُسن معاملتهنّ بعدَ مُراجَعتِهنّ) ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: يعني أو خَلّوا سبيلهنّ، مع أداءِ حقوقهن، ﴿وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾: أي واحذروا أن تكونَ مُراجَعَتهُنَّ بقصدِ الإضرار بهنَّ ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ على حُقوقهن، حتى تضطر المرأة المظلومة إلى المُخالعة، بأن تفدِي نفسها منه بالمال، وتتنازل عن بعض حقوقها، حتى تتخلص مِن هذا الزوج الظالم، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ منكم أيها الأزواج ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها لعذاب الله، ﴿وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ أي لَعِبًا بها، وهو التجرُّؤ عليها، وعدم الامتثال لواجبها، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ باللسانِ: ثناءً وحَمدًا، وبالقلب: اعترافًا وإقرارًا، وبالجَوارح: بصَرْفِها في طاعةِ الله، ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾: أي واذكروا ما أنزلَ اللهُ عليكم مِن القرآن والسُنَّة، فهو ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾: أي يُذكِّركم بما في الكتاب والسُنَّة مِن أحكام، ويُخوفكم مِن المُخالفة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

الآية 232: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أقلّ من ثلاث طلقات، ولكنْ: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي فانتهت عِدَّتُهُنَّ مِن غير أن تراجعُوهُنَّ في أثناء العِدَّة: ﴿فَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: أي فلا تمنعوا – أيها الأولياء – المُطلقاتِ مِن ﴿أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي مِن العودة إلى أزواجهنَّ مرة أخرى بعقدٍ جديدٍ إذا أرَدْنَ ذلك، و﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي إذا حدث التراضِي شَرعًا وعُرفًا بين الأزواج والزوجات، ﴿ذَلِكَ﴾: أي تمْكِين الأزواج مِن نِكاح زوجاتِهم ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ﴾: أي بهذا يَعِظ اللهُ المُؤمِن الذي ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ ويَستجيبُ للهِ ولرسوله، ولا يتبعُ هَوَاهُ، ﴿ذَلِكُمْ﴾: أي عودة الزوجين لبعضهما مرة أخرى ﴿أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾: أي أكثرُ نماءً وطهارة لأعراضِكم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه صَلاحكُم ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فسارعوا إلى التسليم بقبول شرْعِه، والانقياد لأمْرِه.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

15. تفسير الربع الخامس عشر من سورة البقرة (*)

الآية 233: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ أي عامين ﴿كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾: أي وعلى الآباء – الذين وُلد لهم هذا المولود –: ﴿رِزْقُهُنَّ﴾: يعني أن يَكفُلوا للمُرضِعات المُطلَّقات طعامَهنّ ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي بحسب حال الوالد من الغِنى والفقر، ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: أي لا يُكلف اللهُ نفسًا إلا قدر طاقتها في الإنفاق، ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾: أي لا يَحِلّ أن تؤذَى الأمُّ بولدها، وذلك بمنعها من إرضاعه، أو بمنعها الأجرة على إرضاعه (هذا في حال طلاقها، أو موت زوجها)، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾: أي وكذلك لا يَحِلّ أن يُؤذَى المولودُ له – وهو الأب – بسبب ولده، وذلك بأن يُطالَب بنفقةٍ باهظةٍ لا يَقدرُ عليها، ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾: يعني (وإن كان الأبُ ميتًا، أو كان فقيرًا لا يقدرُ على دفع نفقة الأم المُرضِعة، أو كان غير موجودٍ لأيِّ سبب، وكان الطفلُ ليس له مالٌ): فإنّ نفقة الأم وكِسوتها تجب على الوارث (الذي سيَرِثُ الطفلَ مُستقبلاً إذا مات)، وهذا هو قول الجُمهور، ومعنى قوله تعالى: ﴿مثلُ ذَلِك﴾ أي مثلُ ما كان يجبُ على الوالد من النفقة (إذا كان موجودًا وقادرًا على دفعها).

﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ – أي الوالدان – ﴿فِصَالًا﴾: يعني أن يَفطموا المولود قبل انتهاء السنتين، وكان ذلك ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك؛ ليصلا إلى ما فيه مصلحة المولود، فإذا كان ذلك في مصلحته، ورَضِيَا به: فلا إثم عليهما، (ويُفهمُ من الآية: أنه إذا رضي أحدُهما دون الآخر، أو لم يكُن الفطام في مصلحة الطفل – فإنه لا يجوزُ فطامُه)، ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾: يعني وَإِنْ أَرَدْتُمْ أن تطلبوا إرضاع المولود من مُرضِعة أخرى غير والدته: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي فلا إثمَ عليكم، ولكنْ بشرط: ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾: يعني إذا أعطيتم المُرضعات من الأجر مِثل ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾: أي مِثل ما أعطيتمُوهن مِن وعدٍ واتفاق، وهذا مِثل قول أحدهم: (أنا أعطيتُك كلمة، أو:

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنا أعطيتُك وعدًا)، وعلى هذا فيكونُ معنى: ﴿إذا سلمتُم ما آتيتُم﴾ أي إذا سلمتمُوهُنّ ما اتفقتم عليه من الأجر ﴿بالْمَعْرُوفِ﴾: أي بما يَتعارفُ عليه الناسُ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

الآية 234: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾: أي والذين يموتون منكم، ﴿وَيَذَرُونَ﴾: أي ويتركون ﴿أَزْوَاجًا﴾ بعدهم، فعلى هؤلاء الزوجات أن ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: أي ينتظرن بأنفسهن مُدة أربعة أشهُرٍ وعشرة أيام، (لا يتزوَّجن في هذه المُدة، ولا يتزيَّنَّ في البيت، ولا يَخرُجن من مترل الزوجية إلا لضرورة؛ وذلك إظهارًا للحُزن على الزوج، واعترافًا منها بالفضل والجميل)، واعلم أن تلك المُدة تكونُ على سبيل العدة.

♦ وقد يتساءلُ بعض الناس عن الحكمة من طُول هذه العدة، فدعُونا نُجبْ ابتداءً بأنّ الأصل فينا أننا مُسلمون، والإسلام معناه: الاستسلام والخضوع والانقياد التام لأوامر الله تعالى، سواء عَلِمنا الحكمة من الأمر الشرعي، أم لم نعلمها؛ إذ إننا نطيع إيمانًا مِنّا بأنّ اللهَ تعالى قد أمرنا بذلك، وأنه سبحانه حكيمٌ في شرعه وتدبيره، يضع الشيء في موضعه المناسب، وأنه سبحانه يَعلم ما فيه صلاحنا ونحن لا نَعلم ذلك، ولذلك قال: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقد يُظهِرُ اللهُ لنا الحكمة مِن أمرٍ ما، وقد يُخفيها عنا – اختبارًا لإيماننا – فينبغي ألاّ نُعَلِّق طاعتنا لله تعالى بمعرفة الحكمة، فإن عَلِمناها: فللهِ الحمدُ والمِنَّة، وإن لم نَعلمها، قلنا: (سمعنا وأطعنا).

♦ هذا، وقد اجتهد بعضٌ من العلماء – وغيرهم – في معرفة بعض هذه الحِكَم، فمِن ذلك: التأكُّد من فراغ الرَّحِم من الحَمْل، وحتى تنسى الزوجة – في هذه المدة – معاملة الزوج الأول معها، حتى لا تحدث عندها مقارنة بين الزوجين، فيحدث لها من السخط ما يتسبَّب في إفساد حياتها مع الزوج الثاني.

♦ ومنها: إظهار حقِّ الزوج عليها؛ حيث إنّ طاعة المرأة لزوجها بالمعروف (يعني في غير معصية الله تعالى)، والقيام بأمر الزوج، واحتساب الأجر في ذلك عند الله – من أعظم ما تتقرَّب به المرأة إلى ربِّها تبارك وتعالى؛ فقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (إذا صَلَّتْ المرأة خَمْسَها، وصامت شهرها، وحفظَتْ فرجَها، وأطاعت زوجَها – قيل لها: ادخلي الجَنَّةَ من أيِّ أبواب الجنة شئتِ) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 660).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

♦ وفي المقابل: فإن معصية الزوج، وتكدير حياته: ذنبٌ عظيم، ومعصيةٌ تؤدِّي بالمرأة إلى غضب الله ولعنته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا تُجاوِزُ صلاتهم آذانهم - أي لا ترتفع إلى السماء، وهو كِناية عن عدم القبول، وذَكَرَ منهم -: وامرأة باتت وزوجُها عليها ساخط) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 3057)، قال الشَوكاني رحمه الله: (إنّ إغضاب المرأة لزوجها حتى يَبيت ساخطًا عليها: من الكبائر)، هذا إذا كان ذلك السخط بسبب سوء خُلُقها، أو قلة طاعتها له، وكان زوجها صالحًا لا يأمرها إلا بخير، ولا يَطلب منها إلا ما تطيقه من الأمور المعروفة لا المُنكَرة.

♦ ولعل أحد هذه الحِكَم ما صرَّح به الدكتور جمال الدين إبراهيم (أستاذ علم التسمُّم بجامعة كاليفورنيا ومدير معامل أبحاث الحياة بالولايات المتحدة الأمريكية) مِن أنَّ العلم قد اكتشف حديثًا أن السائل الذكري يَختلف من شخصٍ إلى آخر كما تختلف بصمة الأصبع، وأنّ لكل رجلٍ شفرة خاصة به، وأنّ المرأة تحمل داخل جسدها جهازًا يَختزن هذه الشفرة، وإذا دخل على هذا الجهاز أكثر من شفرة فإنه يُصاب بالخلل والاضطراب والأمراض الخبيثة، ومع الدراسات المكثَّفة للوصول إلى حل لهذه المشكلة: اكتشفوا الإعجاز، واكتشفوا أنّ الإسلام يعلم ما يَجهلونه: (وهو أنّ المرأة تحتاج إلى نفس مُدَّة العِدَّة التي شرعها الإسلام، حتى تستطيعَ استقبال شفرةٍ جديدةٍ بدون أن تُصاب بأذى)، (كما فسَّر هذا الاكتشاف سبب عدم تزوُّج المرأة إلا من رجلٍ واحد).

♦ وأمّا عن اختلاف مُدَّة العِدَّة بين المُطلَّقة والأرملة: فقد أُجْرِيَت الدراسات على المُطلَّقات والأرامل، وأثبتت التحاليل أن الأرملة تحتاج إلى وقتٍ أطول من المُطلَّقة لنسيان هذه الشفرة، وذلك يَرجع إلى حالتها النفسية؛ حيثُ تكون حزينة على فقدان زوجها أكثر؛ إذ لم تُصَب منه بضرر الطلاق، بل توفَّاه اللهُ تعالى؛ فلذلك هي لا تستطيع نسيان ذلك الزوج الذي عاش معها حياة المَوَدَّة والرحمة والسكن إلا بعد فترة العِدَّة.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: يعني فإذا انتهت المُدَّة المذكورة للمتوفَّى عنها زوجها: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء النساء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي فيما فعلن في أنفسهنّ على وجهٍ غير مُحَرَّم ولا مكروه، إذ يَجوز لهنَّ التزيُّن في البيت، والتعرُّض للخُطَّاب، والزواج، والخروج من البيت - كما أمرَ الشرع - أي لا يَتبرَّجن، ولا يَضعن العِطر، وأن يَخرجن بملابس واسعةٍ فضفاضة؛ وذلك حتى لا يَدخلن في قول النبي صلى الله عليه وسلم عن المتبرِّجات - كما في صحيح مسلم -: (لا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَدخلنَ الجنة، ولا يَجدنَ ريحها)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (واعلم أن المرأة المتوَفَّى عنها زوجها إذا كانت حاملاً فإنَّ عدَّتها تنقضي بوضْع حمْلِها).

الآية 235: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الرجال ﴿فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾: أي فيما تُلَمِّحون بهِ ﴿مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ المتوفَّى عنهنّ أزواجهنّ (وذلك في أثناء العِدَّة)، وكذلك المُطلَّقات طلاقًا بائنًا (أي لا رَجْعَةَ فيه)، وأما الطلاق الرَّجعي: فلا تَصِحّ الخطبة فيه - لا تلميحًا ولا تصريحًا - لأنّ المرأة المُطلَّقة تكون في حُكم الزوجة، ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: أي ولا إثمَ عليكم أيضًا فيما أخفيْتُموه في أنفسكم مِن نيّة الزواج بهنّ بعد انتهاء عدَّتهنّ، فقد ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ ولن تصبروا على السكوت عنهن - بسبب ضعفكم - لذلك أباح لكم أن تذكروهنّ تلميحًا أو إخفاءً في النفس فقط، ولا تصرِّحوا بذلك؛ لأنّ التصريح لا يَحتمل غير النكاح؛ فلهذا حُرِّمَ التصريح خوفًا من استعجالها وكذبها في انقضاء عِدَّتِها (رغبةً في النكاح)، ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ على النكاح ﴿سِرًّا﴾ وذلك بالاتفاق معهنّ على الزواج بعد العدَّة، فهذا الاتفاق لا يَحِلّ طالما أنهنّ ما زِلْنَ في العِدَّة ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: يعني إلا أن تقولوا قولا يُفهم منه أنّ مِثلها يَرغَب فيها الأزواجُ، أو غير ذلك.

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾: أي ولا تعزموا على عَقد النكاح ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾: أي حتى تنتهي عِدَّتها، (والمُراد من الكتاب: المُدّة التي كَتَبَ اللهُ على المُعتَدَّة أن تنتظر فيها دونَ زواج)، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ أي فانووا الخير، ولا تنووا الشرَّ؛ خوفًا من عقابه ورجاءً لثوابه، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب التائبين ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يُعاجل مَن عصاه بالعقوبة، لعله يرجع ويَندم على ما فعل.

الآية 236: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي لا إثمَ عليكم أيها الأزواج ﴿إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ بعد العقد عليهنّ ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: أي قبل أن تدخلوا بهنّ، أو تحدِّدوا لهنَّ مَهرًا، ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أي وأعطوهنّ شيئًا من المال يتمتَّعن به؛ عِوَضًا عمَّا فاتهنّ من الزواج، وجَبرًا لخاطرهنّ، ودفعًا لوَحشة الطلاق وإزالةً للأحقاد، وهذه المُتعة تجب بحسب حال الرجل المُطلِّق، فتجب ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾: يعني على الغني قدْرَ سعة رزقه، ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾: أي وعلى الفقير قدْرَ ما يَملكه، وهذا المتاع يكونُ ﴿مَتَاعًا﴾ مِن كسوةٍ ونفقةٍ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: يعني على الوجه المُستَحسَن شرعًا وعُرْفًا ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾: أي وهو حقٌّ ثابتٌ على الذين يُحسنون إلى المُطلَّقات، ويُحسِنون إلى أنفسهم بطاعة اللهِ وامتثال أمره.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 237: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي من قبل أن تدخلوا بهنَّ، ولكن: ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: أي وقد حدَّدتم لهنَّ مهرًا: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾: يعني فيجب أن تعطوهنَّ نصف المهر المُتفَق عليه ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾: يعني إلا أن تعفوا المُطلقات، فيَتركنَ نصف المهر المُستحَق لهنّ، ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾: يعني أو أن يعفو الزوج – الذي بيده حل عقد النكاح – بأن يَترك المهر كله للمُطلقة، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ يعني: وتَسامُحُكم أيها الرجال والنساء – في ذلك – هو أقرب إلى خشية الله وطاعته، ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: أي ولا تنسوا أيها الناس أن تتفضلوا وأن تحسنوا فيما بينكم، (وهو إعطاء ما ليس بواجبٍ عليكم، والتسامح في الحقوق)، وذلك لِما كان بينكم مِن معروفٍ وَوُدٍّ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

الآية 238: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ الخمس المفروضة، وذلك بالمداومة على أدائها في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها وخشوعها، ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾: أي وحافظوا – بالأخصِّ – على الصلاة المتوسِّطة بينها وهي صلاة العصر، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾: أي صَلُّوا له قيامًا، وكونوا في صلاتكم ﴿قَانِتِينَ﴾: أي مطيعين، خاشعين، ساكنين.

الآية 239: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدوٍّ أو من حيوان مفترس أو غير ذلك: ﴿فَرِجَالًا﴾: أي فصَلُّوا صلاة الخوف ماشين على أقدامكم، ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: يعني أو راكبين، أو على أيّ هيئةٍ تستطيعونها ولو بالإيماء – أي بالانحناء – ولو إلى غير جهة القبلة، ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾: يعني فإذا زال خوفُكم: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: أي فأتِمُّوا الصلاة كما أمَرَكم الله، وذلك بأنْ تُتمُّوا ركوعها وسجودها وقيامها وجلوسها كما تفعلون ذلك في حال الأمن وعدم الخوف، واذكروا الله فيها، ولا تنقصوها عن هيئتها الأصلية، واشكروه ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ من أمور العبادات والأحكام.

الآية 240: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، وهذا هو قول الجمهور.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 241: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ – مِن كِسْوَةٍ ونَفقةٍ – ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي بما تَعارَفَ عليه الناس، وقد جعل اللهُ متاعَ المُطلَّقة ﴿حَقًّا﴾ ثابتاً ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ يعني على المُطلِّقين الأتقياء، الذين يَخافون اللهَ تعالى، ويَتقونه في أمْرِه ونَهْيِه.

الآية 242: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾: أي بِمِثل ذلك البيان الواضح – في أحكام الأولاد والنساء –: يبيِّن الله لكم آياته وأحكامه في كل ما تحتاجونه في معاشكم وآخرتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي لكي تعقلوا تلك الآيات وتعملوا بها.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

16. تفسير الربع السادس عشر من سورة البقرة (*)

الآية 243: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: يعني ألم تعلم قصة الذين فرُّوا من أرضهم ومنازلهم؟ ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ كثيرة، ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾؛ أي خشْيَةَ الموت.

♦ وهنا وقع خِلاف بين المفسِّرين؛ (فمنهم من قال: إنهم فرُّوا من ديارهم خوفًا من القتال؛ يعني إنّ عَدُوَّهم نزل بأرضهم، وقد كان الواجب عليهم أن يَثبتوا ويُدافعوا عن أرضهم، ولكنهم تركوا ديارهم للعدو، وَفَرُّوا جُبنًا من القتال وخوفًا من الموت)، (ومنهم مَن قال: إنهم فرُّوا خوفًا من مرض الطاعون الذي نزل بأرضهم، ففرُّوا – اعتقادًا منهم – أنّ المرض سوف يُميتُهم بذاته، وليس بقدَر الله تعالى، فاعتقدوا أن السبب هو الذي ينفع ويضر، ولم يعتقدوا أنّ كل شيء بيد مُسَبِّب الأسباب – سبحانه وتعالى – الذي بيده مَلَكوتُ كل شيء).

﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ فماتوا دفعة واحدة؛ "عقوبةً لهم على فرارهم"، ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ اللهُ تعالى بعد مدة، ليَستوفوا آجالهم – المكتوبة في اللوح المحفوظ – وليتَّعظوا ويتوبوا، ولِيُبَيِّن سبحانه لِخَلقه آياته بقدرته على إحياء الموتى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بنعمِه الكثيرة عليهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فَضْلَ الله عليهم، بل ربما استعانوا بنعم الله على مَعاصيه، وقليلٌ منهم الشكور الذي يَعترف بالنعمة، ويَستخدمها في طاعة المُنعم.

♦ وبمناسبة ذِكر الفرار من المرض: فإنه قد يَسأل سائل ويقول: (كيف نجمع بين قول النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح البخاري –: (لا عَدوَى)، وبين قوله في نفس الحديث: (وَفِرَّ من المجذوم – وهو الذي أصابه مرض الجُذام – كما تفرُّ من الأسد)؟) وخلاصة أقوال العلماء في ذلك أنّ قوله صلى الله عليه وسلم: (لا عدوى)؛ أي لا عدوى مؤثرة بذاتها – أي لا تنتقل بذاتها – إنما

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَنقلها اللهُ سبحانه وتعالى إذا شاء، واعلم أنّ هذا يكون من باب الاعتقاد بأنّ اللهَ سبحانه هو الذي يُصيبنا، وأنه هو الذي يَصرف عنا السوء.

♦ وأمّا قوله صلى الله عليه وسلم: (فرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد)، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون – كما في صحيح البخاري –: (إذا سمعتم بهِ بأرضٍ: فلا تَقدُموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها: فلا تخرجوا فِرارًا منه)، فإنه من باب اجتناب الأسباب التي خلقها اللهُ تعالى، وجعلها سببًا للهلاك أو الأذى، والعبد مأمورٌ باتقاء أسباب البلاء؛ مِثل اجتناب مقاربة المريض، أو القدوم على بلد الطاعون، أو غير ذلك، ولكنْ مع الاعتقاد الجازم أنّ السبب لا ينفع ولا يضر بذاته، وإنما كل شيء بيد الله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾، وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وكذلك نعتقد أننا لا نُصاب بمجرد مُخالطة المَرضَى، وإنما جعل اللهُ – سبحانه وتعالى – مخالطة المريض للصحيح سببًا لإعدائه، وقد يَشاءُ اللهُ أن يُخالِطَهُ ولا تحدث عدوى، فالأمرُ يَرجع في ذلك إلى قدَر اللهِ تعالى.

♦ ومن لطيف ما يُذكَر هنا "أنّ عمر بن الخطاب رضي اللهُ عنه – حينما كانَ أميرًا للمؤمنين – خرج إلى الشام، فلقِيَهُ أبو عُبَيدة بن الجَرّاح وأصحابه رضي اللهُ عنهم، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، فقرَّرَ "عمر" الرجوع إلى المدينة، فقال له أبو عبيدة: "فِرارًا من قدر الله"؟ فقال له عمر: "نعم؛ نفِرُّ مِن قدَر اللهِ إلى قدَر الله"، (وهذا يدل على أنّ الأخذ بالأسباب إنما هو جزء من القدر).

♦ فعلى سبيل المثال: إذا أصاب العبدُ مرضًا ما، فعليه أن يأخذ بالأسباب التي أمَرَهُ اللهُ تعالى بها، كالذهاب إلى الطبيب، وأخْذ الدواء، ولكنْ مع عدم تعلق قلبه بالطبيب ولا بالدواء، (لأنّ هناك مَن كانَ عنده نفس المرض، وأخَذَ نفس الدواء، ومع ذلك لم يَكتب اللهُ له الشفاء)، وإنما عليه أن يُعلق قلبه باللهِ الشافي، الذي يُوفق الإنسان لأخْذ الدواء المناسب للمرض الذي عنده، فلذلك يَتناول الدواء وهو يقول: (بسم الله الشافي)، حتى يُوصل اللهُ الدواء إلى مكان المرض، فيَبرأ بإذن الله، وهذه نقطة هامة جدًّا؛ لأنّ تعلق القلب بغير اللهِ تعالى هو مِن أعظم مُفسِدات القلب، وهو بداية الشرك.

الآية 244،245: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتكم وأعمالكم، فأحسِنوا النيّة، واقصدوا بها وجه اللهِ تعالى، واعلموا أن القعود عن القتال لا يفيدكم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شيئًا – ولو ظننتم أنّ في القعود حياتكم وبقاءكم – فليس الأمر كذلك، فإنكم لا تُمتَّعون بعد القعود عن القتال إلا قليلاً، ولهذا ذكَرَ اللهُ تعالى هذه القصة السابقة تمهيدًا لهذا الأمر، فكما لم يَنفعهم خروجهم من ديارهم – بل أتاهم ما كانوا يَحذرون (وهو الموت) – من غير أن يَحتسبوا، فاعلموا أنكم كذلك.

♦ ولَمَّا كان القتال في سبيل الله لا يتم إلا بالنفقة وبذل الأموال في ذلك، أمَرَ تعالى بالإنفاق في سبيله ورَغَّبَ فيه، وسَمَّاه قرضًا، فقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾؛ أي يُنفق إنفاقًا حسنًا (يعني من مال حلال، طالبًا للأجر)، وذلك في جميع طرق الخير، وخصوصًا في الجهاد، ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ لا تُحصَى من الثواب وحُسن الجزاء، (فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعافٍ كثيرة، وذلك بحسب حال المُنفق مع الله، وبحسب نيّته، ونَفْع نفقته، والحاجة إليها)، ولَمَّا كان الإنسان رُبما توَهَّم أنه إذا أنفقَ افتقر: دَفَعَ اللهُ تعالى هذا الوهم بقولِه: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾؛ أي يُضيِّق على مَن يشاءُ مِن عباده في الرزق ابتلاءً لهم، ﴿وَيَبْسُطُ﴾؛ أي ويوسِّعه على آخرين امتحانًا لهم، فالتصرف كله بيديه سبحانه، وله الحكمة البالغة في تضييق الرزق وتوسعته؛ لأنه – سبحانه – الأعلم بما يُصلِح عباده من الفقر والغنى، فأنفِقوا ولا تُبَالوا فإنه هو الرزاق ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

♦ واعلم أنّ اللهَ تعالى قد سَمَّى ذلك الإنفاق قرضًا؛ حثًّا للنفوس على البَذل؛ لأنّ المُقرِض مَتَى عَلِمَ أنّ ماله كله سيعود إليه، مع مضاعفة حسناته، وتكفير سيئاته، سَهُلَ عليه إخراجه، ومَجيء لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ في قوله: ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ فيه غاية الطمأنة للمُنفِق؛ لأنه يَعلم أنّ قرْضَهُ سيُعطيه لِغنيٍ كريمٍ قادر.

الآية 246: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾ وهم الأشراف والرؤساء ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ﴾ زمان ﴿مُوسَى﴾ ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني اجعل علينا مَلِكًا نجتمع تحت قيادته، ونُقاتل أعداءنا في سبيل الله، ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾: يعني هل الأمر – كما أتوقعه – إن فَرَضَ اللهُ عليكم القتال في سبيله أنكم لا تقاتلون؟ فإني أتوقع جُبْنَكم وفراركم من القتال، ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ﴾ يعني وأيُّ مانع يمنعنا عن القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾: أي وقد أخرَجَنا عدونا من ديارنا، وأبعَدَنا عن أولادنا بالقتل والأَسْر؟ ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ أي خافوا وفرُّوا من القتال ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾ ثبَتوا بفضل اللهِ تعالى، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الناكثين لعهودهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 247: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ﴾ أي أرسَلَ إليكم ﴿طَالُوتَ﴾ ليكونَ ﴿مَلِكًا﴾ عليكم، ويَقُودكم لقتال عَدُوِّكم كما طلبتم، ﴿قَالُوا﴾ أي قال كُبَراء بني إسرائيل: ﴿أَنَّى﴾ يعني كيف ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ وهو لا يَستحق ذلك؟ لأنه ليس مِن أبناء الملوك، ولا مِن بيت النُبُوَّة، ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لأننا من أبناء الملوك، ومِن بيت النُبُوَّة، ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾: أي وهو أيضاً لم يُعْطَ كَثرةً في الأموالِ يَستعينُ بها في مُلْكِه، فكيف يكونُ مَلِكًا علينا؟!، ﴿قَالَ﴾ لهم نَبِيُّهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي اختاره عليكم وهو سبحانه أعلم بأمور عباده، ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾: أي وقد زادَهُ سبحانه سَعَةً في العِلم وقوةً في الجسم لِيُجاهد الأعداء، ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ في فضله وعطائه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يَستحق ذلك الفضل والعطاء، فسَلِّموا الأمرَ إليه واسمعوا وأطيعوا.

الآية 248: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ أي علامة مُلك طالوت – الذي اختاره الله ليكون مَلِكًا عليكم –: ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ وهو الصندوق الذي كان بنو إسرائيل يضعون فيه التَوْراة – وكان أعداؤهم قد انتزعوه منهم – فسيأتيكم هذا التابوت، وسيكونُ ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾: أي طمأنينة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تثبِّت قلوب المخلصين، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾ (والبقيَّة هي ما تبَقى من الشيء بعد ذهاب أكثره، وهي هنا: عصا موسى، وفُتات من الألواح التي تكسَّرت، وشيءٌ من آثار أنبيائهم) ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ من أرض أعدائهم العمالقة، فتضعه بين أيديهم في مُخَيّماتهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾: يعني إنّ في ذلك لأعظم برهان لكم على اختيار طالوت مَلِكًا، فعليكم بأمر الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله ورسله، (فأتتْ به الملائكة تحمله، وهم يرونه بأعينهم).

الآية 249: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ أي فلمَّا خرج بجنوده لقتال العمالقة: ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾: أي ممتحنكم – على الصبر – بنهرٍ أمامكم تعبرونه، ليتميز المؤمن من المنافق، ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾: يعني فمن شَرِبَ من ماء النهر ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ ولا يَصلح للجهاد معي، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فهذا ليس عليه لوم، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾: أي فلمَّا وصلوا إلى النهر: انكبُّوا على الماء، وأفرَطوا في الشرب منه ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾ صبَروا على العطش والحر، وحينئذٍ تَخَلَّفَ العُصاة، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ لُملاقاة العدو – وكان عدد المؤمنين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً – فلما رأوا كثرة عدد العدو، وكثرة سلاحه: ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ﴾ أي لا قدرة ﴿لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾ – قائد العمالقة – ﴿وَجُنُودِهِ﴾ الأشداء، ﴿قَالَ الَّذِينَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ﴾ أي فأجاب الذين يوقنون بلقاء الله – مُذَكِّرين إخوانهم بالله وقدرته –: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ مؤمنةٍ صابرة ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ كافرة ظالمة ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وإرادته، ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بتوفيقه ونصره.

الآية 250: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾: أي ولَمَّا ظهروا ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ ورأوا الخطرَ رَأيَ العين: لجأوا إلى الله بالدعاء والتضرُّع، فـ ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: يعني أنزِل على قلوبنا صبرًا عظيمًا، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ واجعلها راسخة في قتال العدو، لا تَفِرُّ مِن هَوْل الحرب، ﴿وَانْصُرْنَا﴾ بعَونِكَ وتأييدِكَ ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

الآية 251: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ﴾ عليه السلام ﴿جَالُوتَ﴾ قائد العمالقة ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي المُلك والنبوة، ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ مِن العلوم، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾: أي ولولا أن يَدفعَ اللهُ ببعض الناس – وهم أهل الطاعةِ له والإيمان به – بعضًا، وَهُم أهل الشِّرك؛ وذلك بالجهاد والقتال في سبيله ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بانتصار الكُفر، وتَمكُّن الطُّغاة وأهل المعاصي، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

الآية 252: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ – أيها النبي – ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالصِدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الصادقين.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

17. تفسير الربع السابع عشر من سورة البقرة (*)

الآية 253: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ الكِرام الذين قصَّ اللهُ على رسولِهِ بعضًا منهم، وأخبَرَهُ أنه منهم في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ في الآية السابقة لهذه، فهؤلاء الرسل ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، وذلك بحسب ما مَنَّ اللهُ به عليهم، ولكننا لا نُفرقُ بين أحدٍ منهم في الإيمان بهم، ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كَمُوسَى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ عالية كمحمد صلى الله عليه وسلم، بعُموم رسالته، وخَتْم النُّبوة به، وتفضيل أمَّتِهِ على جميع الأمم، وغير ذلك.

﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي المُعجزات الواضحات الدالَّة على صِدق نُبُوَّتِهِ ورسالته ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: أي وقوَّيْناهُ بجبريل عليه السلام، يُلازمُهُ في أحوالِهِ، فكانَ يَقفُ دائمًا إلى جانب عيسى يُسَدِّدُهُ وَيُقوِّيه إلى أنْ رَفعَهُ اللهُ إليه، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ما اقتتل الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي ما اقتتلت الأمم التي جاءت بعدَ هؤلاء الرسلِ ﴿مِن بعد ما جاءتهم البينات﴾ التي تستوجب الاجتماع على الإيمان، ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾: أي ولكنْ وقع الاختلاف بينهم: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾: أي ثَبتَ على إيمانِهِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾: أي ومنهم مَن أصَرَّ على كُفره، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ مِن بعد ما وقع بينهم هذا الاختلافُ الذي تسبَّبَ في قتال بعضهم بعضاً، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيُوفق مَن يشاءُ – بفضلِهِ – لِطاعتِهِ والإيمان به، ويَخذل مَن يشاءُ – بِعَدْله وحِكْمتِهِ – فيَعصِيهِ ويَكفر به.

الآية 254: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي أخرِجوا الزكاة المفروضة عليكم، وتصدَّقوا مما أعطاكم اللهُ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ – وهو يوم القيامة –، حيثُ ﴿لا بَيْعٌ فِيهِ﴾: أي ليس فيه بيعٌ ولا ربحٌ ولا مالٌ تفتدونَ به أنفسكم مِن عذاب الله، ﴿وَلا خُلَّةٌ﴾: أي ولا صَداقة صَديق تُنقذكم، ﴿وَلا شَفَاعَةٌ﴾: أي ولا شفاعة تُقبَلُ إلا مِن بعدِ أن يَأذنَ اللهُ لمن يشاءُ ويرضى، (كما ذكَرَ اللهُ تعالى ذلك في آيةٍ أخرى)، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 255: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ أي: الله الذي لا يَستحق العُبودِيَّة إلا هُوَ ﴿الْحَيُّ﴾ ﴿الْقَيُّومُ﴾: أي القائم بتدبير المَلَكُوتِ كله، القائم على كل نفسٍ بما كَسَبَتْ، (وقد قال بعضُ المُحَقِقِين: إنَّ (الْحَيّ الْقَيُّوم) هو اسمُ اللهِ الأعْظَم الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أعْطَى؛ ولذلك ينبغي للعبد أن يَذكُرَ هذا الاسم في دُعائِهِ، فيقول: (يا حَيُّ يا قيوم)، ثم يدعو اللهَ بما شاءَ مِن الخير)، واعلموا أنّ اللهَ سبحانهُ ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ أي نُعاس، ﴿وَلا نَوْمٌ﴾ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾: أي مَن هذا الذي يَجرؤ أن يَشفعَ عنده إلا مِن بعد أن يَأذنَ له؟

♦ وفي هذا رَدٌّ قاطِع على مَن يُنكِرُون حديثَ الشفاعة – الثابت في الصَحِيحَيْن (البخاري ومُسلِم) – وذلك لأنهم يُحَكِّمُونَ عقولَهُم في ذلك بدونِ عِلم، فيَحْتَجُّونَ بقوْلِهِم: (كيف يَذهب الناس إلى الأنبياء – ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم – لِيَشفعوا لهم عند ربهم، ولا يذهبون مُباشرةً إلى اللهِ تعالى ليَطلبوا منه الشفاعة؟) ويعتبرون أنَّ هذا الحديثَ ضعيفٌ بِحُجَّةِ أنَّه يَتناقَضُ مع قوْلِ اللهِ تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، ونحن نقولُ لهم: إنه قد ثَبَتَ – في نفس الحديث – أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يَذهبُ لِيَخِرَّ تحتَ العرش ساجدًا، ثم يَحْمَد اللهَ تعالى بمَحَامِدَ لم يَحْمَدْهُ بها مِن قبل، فيقولُ اللهُ له: (يا محمد، ارفع رأسَك، وَسَلْ تُعْطَهْ، واشفعْ تُشَفَّعْ)، ففي هذا دليلٌ واضحٌ على أنه قد استأذنَ رَبَّهُ في الشفاعة، وأنَّ اللهَ قد أذِنَ له، ألاَ يَتفقُ هذا تمامًا مع قولِهِ تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، ومع قولِهِ تعالى: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾؟

♦ ونحن نعلمُ أنهم يَفعلونَ ذلك حِرْصًا منهم على عدم الشركِ باللهِ تعالى، ولكننا نُذَكِّرُهُم بقوْلِ الإمامِ عَلي رَضِيَ اللهُ عنه: (لو كانَ الدينُ بالرأي لكانَ أسفلُ الخُف أوْلَى بالمَسْحِ مِن أعلاه)، (والخُفُّ هوَ شيءٌ يُلبَسُ في القدم مِثل الجَوْرَب)، (ورغمَ أنَّ أسفل الخُفِّ هو الأوْلَى بأنْ يُمسَحَ في الوضوء؛ لأنه هو الذي يَتسخ، إلا أنَّنا أُمِرْنا بالمَسح أعلاه)، ونُذَكرُهُم – أيضًا – بأنَّ المَرْأة تَقضِي صيامَ الأيام التي مَرَّتْ عليها وهي حائِض في رمضان، ولا تقضي صلوات تلك الأيام، وبأنَّ اللهَ تعالى قد جعل عدد ركعات الصلوات مختلفة: (فالصبح نُصَلِّيهِ ركعتين، والظهر أربعًا، والمغرب ثلاثًا، وهكذا)، فهذه كلها أشياء تَعَبُّدِيَّة لا تَخضَع للعقل في شيء.

♦ فلذلك ينبغي ألاَّ نجعلَ العقلَ حاكمًا على دين الله، فيُصَحِّح ويُضَعف بهَوَاه، فإنَّ عقولَ البشر مُتفاوتة، وقد يقولُ لكَ قائل: (أنتَ لستَ أذكَى مِني، وإنَّ عقلَكَ ليس أفضل مِن عقلي، فأنا أرى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا صحيحًا وأنت تراهُ ضعيفًا، والعكس)، ولتعلمْ - أخي الكريم - أنه لا يَتعارضُ - أبدًا - نَص صحيحٌ معَ عقلٍ سليم، ولكنَّ المُشكِلة أنَّ الناسَ تستَحِي أن تقول: (أنا لا أفهم هذا الحديث، ولا أفهم المُراد مِن هذه الجُزئِيَّة، ولا أفهم كيف أجمعُ بين هذا الحديث وهذه الآية، وهكذا)، فطالما أنَّ علماءَ الحديث - وَهُم أهلُ التخصص، وأهلُ الذكر في هذا المجال - قد أجْمَعُوا على صِحَّةِ حديثٍ ما، فلا ينبغي أن تُضَعفَ الحديث لِمُجَرَّد أنك تعتقد أنه لا يتفق مع عقلك، وإنما ينبغي أن ترجع إلى أهل العلم المتخصصين لِيُفهِّمُوكَ بإذن الله تعالى، فأنتَ لا تعلمُ الفرقَ بين العام والخاص، والمُطلَق والمُقَيَّد، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أيدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يعني: وَعِلمُهُ تعالى مُحِيطٌ بجميع الكائنات - ماضِيها وحاضرها ومُستقبَلها - ﴿وَلا يُحِيطُونَ﴾: أي ولا يَطَّلِعُ أحدٌ مِن الخَلق ﴿بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ (والكُرسي: هو مَوضِع قدَمَي الرَبِّ جَلَّ جلالُه)، كما ثبتَ ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، مِن غير أن نُشَبِّهَ قدمَي الرب بقدمَي المخلوق؛ لأنه سبحانه ليس كَمِثلِهِ شيء، فلا يَعلمُ شكلَ هذه القدم إلا اللهُ سبحانه وتعالى، ونحن نقولُ ذلكَ لأنَّ هناك مَن يُؤَوِّلُونَ - أي يُبدلون معنى - صفاتِ الله تعالى الثابتة في كِتابه، فيقولون - مَثلاً - بأنَّ معنى اليَد هو: النعمة، ونحنُ نعلمُ أنهم يفعلون ذلك مِن أجل تَنزيهِ الله تعالى (خَوْفًا مِن تشبيههِ بخَلقِه، وحتى يَمنعوا العقلَ مِن التخيُّل)، ونحن نُحسِنُ الظنَّ بهم في ذلك، ولكننا نقولُ - وبُمنتهَى البَسَاطة -: (إذا سألكَ اللهُ تعالى يوم القيامة: (لماذا قلتَ أنَّ لي يَدًا؟)، فإذا قلتَ: (يا ربِّ، أنتَ الذي قلتَ - وقوْلُكَ الحق -: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، فتنجو بذلك الجواب، وأمّا إذا سألك: ﴿لماذا قلتَ بأنَّ اليَد هي النعمة؟)، فبماذا سَتَرُدُّ؟! فلا داعي - أخي الكريم - لإرهاق ذهنكَ فيما لم تَرَهُ، وفيما لا يَنفعك، فالأمر بسيط جدًّا: أثبت الصفة لله تعالى - كما أثبَتَها لِنفسه - ثُمَّ لا تتخيلْ ولا تُشَبِّهْ، ولا تَقلْ - مَثلاً -: (كيفَ يتكلم؟ أو كيفَ يَسمع؟) ولكنْ قل: (اللهُ تعالى له يَد، ولكنْ ليست كَيَدِ المخلوق).

♦ ونضربُ على ذلك مثالاً - ولِلهِ تعالى المَثَلُ الأعلى -: (لو أننا تصورنا أن هناك سَيَّارَة لها عقل، فإذا حاوَلَتْ هذه السيارة أن تتخيل شكل مَن صَنَعَهَا، فإنها ستقول: ﴿إِنَّ الذي صَنَعَنِي - بالتأكيد - سيارة ضخمة جدًّا، ولها (عَجَلات) كبيرة جدًّا)، فهي تظن أنه مِثل شكلها تمامًا ولكنْ بحَجْم أكبر، فهل الذي صنعها كذلك؟ أم أنه مُختلف تمامًا عما تَخَيَّلَتْهُ؟ وهكذا تَخَيُّل الإنسان لخالقه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سبحانه وتعالى (الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، فلا يُشْبِهُ تعالى أحدًا مِن خَلقِه، وَكُلُّ ما سَيَدُورُ ببالِكَ فاللهُ سبحانه بخِلافِ ذلك).

♦ وَمِنْ لَطِيفِ ما يُذكَرُ هنا أنه قد دخل رَجُلان على أحد علماء المسلمين، فقالا له: (أنتَ الذي قلتَ: إنَّ اللهَ يَغضب؟)، فقال لهما: (أنا لم أقل ذلك، ولكنَّ اللهَ تعالى هو الذي قال ذلك)، فقالا له: ﴿هل تعلم أنَّ الغضب هو غَلَيَانُ الدم في القلب؟) فقال لهما: (هل لِلهِ إرادة؟) قالا: (نعم)، قال: (فإنَّ الإرادة هي مَيْل القلب إلى فِعل الشَيْء)، فأرادَ بذلك أن يُوَضحَ لهما أنَّ غضبَ اللهِ تعالى ليس كَغَضَبِ المخلوق، وأنَّ إرادَتَهُ لَيْسَتْ كَإرادةِ المخلوق، – المُهِمُّ أن تُثبتَ الصفة كما جاءت، ولا تقل: كيف؟ – فما كانَ مِن الرجُلَيْن إلا أن انصرفا.

﴿وَلا يَئُودُهُ﴾: أي ولا يُثقِلُهُ تعالى ﴿حِفْظُهُمَا﴾: أي حِفظ السموات والأرض مِن الزوَال، فهو وَحْدَهُ الذي يَحفظهما في تَوَازُن عَجيب ومُذهِل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ وقال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، فهما قائمتان بقدرتِهِ جَلَّ وَعَلاَ، وكذلك لا يُثقِلُهُ تعالى حِفظُ ما فيهما من الكائنات، ولا يَشُقُّ عليه ذلك، بل إنَّ ذلك أهْوَنُ عليه سبحانه مِن حِفظ السموات والأرض، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ بذاتِهِ وصفاتِهِ على جميع مخلوقاتِهِ، وهو ﴿الْعَظِيمُ﴾ الذي يَتضاءل عندَ عَظَمَتِهِ جَبَرُوت المُلوك والجَبابِرَة.

♦ واعلم أنَّ هذه الآية هي أعظمُ آيةٍ في القرآن، وتُسَمَّى: (آية الكُرْسِيِّ)، ومَن قرأها عندَ النوم لم يَقربْهُ شيطان، ولا يَزالُ عليهِ مِن اللهِ حافظٌ حتى يُصبِح (كما ثبتَ ذلك في صحيح البُخاري، مِن حديث أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه).

الآية 256: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾: أي لا يَحتاجُ الإسلام إلى أن يُكْرَهَ المرءُ على الدخول فيه، وإنما يَعتنقهُ بإرادتِهِ واختياره، وذلك لِكَمَال هذا الدين واتضَاح آياتِه، (وفي هذا رَدٌّ واضح على مَن قالَ بأنَّ الإسلامَ قد انتشرَ بحَدِّ السيْف)، ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾: أي فالدلائلُ واضحة يَتضِح بها الحق مِن الباطل، والهُدَى مِن الضلال، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ (والطاغوت هو كل ما يَعبُدُه الناس – مِن دون اللهِ تعالى – بشرط أن يكون هذا الطاغوت راضياً بعبادة الناس له، لأنّ عيسى عليه السلام لم يكن راضياً بعبادة النصارى له)، فمَن يَكفر بالطاغوت ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ وحده ويُخلِص له العبادة ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي فقد ثَبتَ على الطريقةِ المُثلى، واستمسك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بأقوى سبب من الدين، ﴿لا انفِصَامَ لَهَا﴾: أي لا انقطاعَ لهذه الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

الآية 257: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو سبحانه يَتولاهُم بنصره وتوفيقِهِ وحِفظِه، و ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي مِن ظلمات الكُفر إلى نور الإيمانِ، ومِن ظلمات الجهل إلى نور العِلم، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ مِن شياطين الجن والإنس، فلما تَوَلَّى الكفارُ هؤلاءَ الشياطين: سَلطَهم اللهُ عليهم عقوبةً لهم، فزَيَّنُوا لهم عبادة الأصنام، وحَسَّنُوا لهم الباطلَ والشرُور، وزَيَّنُوا لهم الكُفرَ والفسُوقَ والعِصْيَان، فكانوا بذلكَ ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ أي مِن نور الإيمان إلى ظلمات الكُفر، ومِن نور العِلم إلى ظلمات الجهل ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

♦ واعلم أنه لا يَجُوزُ للمُسلِم أن يُكَفِّرَ أخاه المُسلم، طالما أنه ناطِقٌ بالشهادتين – حتى وإن فعلَ فِعلاً كُفريًّا يُخرجُهُ مِن المِلَّة – فقد يكون هذا الرجل (الذي يُتَّهَم بالكفر) مَعذورًا بجهلِه، ويَحتاجُ إلى عالِمٍ – يثقُ هُوَ في عِلمِه – لِيُعَلمَهُ، ويُزيلَ عنه الشبُهَات، ويُقِيمَ عليه الحُجَّة.

♦ واعلم أنَّ الأدِلَّة – على أنَّ العُذر بالجهل قاعدة شرعية أصُولِيَّة، وأنه مِن صُلب هذا الدِين – كثيرة جدًّا، ولا يَتسعُ هذا المُختصَر لِذِكْرها، ولكننا نَذكرُ فقط قولَ الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾، فقولُه تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ دليلٌ على أنَّ اللهَ تعالى قد جعلَ مَعرفة العبدِ بالهُدى، وإيضاحِهِ له، وإقامة الحُجَّة عليه: شرطًا قبل أن يَذكرَ العقوبة، واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال – كما في صحيح مُسلِم –: (أيُّما امْرِئٍ قالَ لأَخيهِ: يا كافر، فقد باءَ – أي رجع – بها أَحدهما، إنْ كانَ كما قالَ، وَإلاَّ رَجَعَتْ عليه)، فالأمرُ خطير جدًّا، فإنَّ الكُفرَ يُسَببُ الخلودَ الأبديَّ في النار، فإذا كانَ هذا الرجلُ مَعذورًا بجهلِه: فإنَّ الكلمة سَتُرَد على قائلِها فيَضِيع؛ ولأنَّ هذا سوف يُؤدي بعدَ ذلك إلى استباحتِهِ لِدَمِهِ ومالِهِ، وغير ذلك، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مُسلم –: (كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ).

الآية 258: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ أي جادَلَهُ في توحيد الله تعالى، وما حَمَلَهُ على ذلك إلا ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ فتجبَّر وسأل إبراهيمَ: مَن ربُّك؟ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يعني: ربي الذي يُحيي الخلائق فتَحيَا، ويَسلبُ منها الحياة فتموت، فهو سبحانه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المُتفرد بالإحياء والإماتة، ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ أي أقتل مَن أردتُ قَتْلَه، وأستَبْقِي مَن أردتُ استبقاءَه، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: أي فتحيَّرَ وانقطعتْ حُجَّته، وأيَّد اللهُ وَلِيَّهُ إبراهيمَ فانتصرَ على عَدُوِّهِ بالحُجَّة القاطعة، (فهذا مثالٌ لِمَا ذكره اللهُ تعالى في الآيةِ السابقة مِن إخراجِهِ لأوليائِهِ من ظلمات الجهل إلى نور العلم)، ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى الحق والصواب.

الآية 259: ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾: يعني أو هل عَلِمتَ مَثَلَ الذي ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ أي فارغة مِن سُكانها، وقد تَهدَّمَتْ مَبانيها وسقطتْ حِيطانُها وجُدرانها ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: أي على سُقوفِ بيوتِها، فـ ﴿قَالَ أَنَّى﴾: يعني كيفَ ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؟ ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾يعني كم مَكَثتَ ميتًا؟ ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ ولكي تقتنع بما أخبرتُكَ به: ﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم يتغيَّر طَعْمُهُ رغمَ مرور هذه السنين الطويلة، وذلك بحِفظِ الله له، ﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيفَ أحياهُ اللهُ بعدَ أن كانَ عظامًا متفرقة، ثم قال له الربُّ تبارك وتعالى بعدَ أن أراهُ مَظاهرَ قدرته: فَعَلنا بك هذا لِنُرِيَكَ قدرتنا على إحياء القريةِ مَتَى أردنا إحياءَهَا ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ في قصتِكَ هذه ﴿آيَةً لِلنَّاسِ﴾: أي دَلالة ظاهرة على قدرة الله على البَعث بعدَ الموت، ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾: أي إلى عِظام حِمارك ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾: أي كيفَ نرفعُ بعضها على بعض، ونَصِلُ بعضَها ببعض، ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، ثم نُعِيدُ فيها الحياة.

♦ وهنا قد يَقولُ قائل: إنَّ اللهَ تعالى لَمَّا قال له: ﴿بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾: كانَ مِن المُتَوَقَّعِ أن يَذكُرَ بعدهُ مُباشرةً ما يَدُلُّ على ذلك الزمن الطويل الذي مَكَثَه، فيَبدأ – مَثلاً – بأنْ يُرِيَهُ العِظام التي تَحَلَّلتْ، وأما أن يُرِيَهُ – أولاً – الطعامَ (الذي لم يَفسد)، فإنه قد يُتَوَهَّم أنَّ هذا يَدُلُّ على ما قاله العبد مِن أنه مَكَثَ يومًا أو بعضَ يوم، والجواب: أنه كلما كانت الشُبْهة أقوى، كلما كانَ سَمَاعُ الدليل المُزِيل لتلك الشُبهة أكثر تأكيداً وأكْمَل، ووقوعُهُ في القلب بعد ذلك أرْسَخ، فكأنَّ اللهَ سبحانهُ لَمَّا أراهُ الطعامَ والشرابَ لم يتغير، ظنَّ العبدُ أنَّ هذا مِمَّا يُؤكدُ أنه مَكَثَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، فحينئذٍ عَظُمَ اشتياقُهُ إلى الدليل الذي سيَكشف عن هذه الشُبهة، ثم لَمَّا أراهُ اللهُ سبحانه أنَّ الحمارَ قد صارَ عِظامًا بالية، عَظُمَ تَعَجُّبُهُ مِن قدرة الله تعالى؛ لأنه قد رأى الطعامَ الذي لا يستطيعُ البقاء: باقيًا، وكذلك رأى العظامَ التي تستطيعُ البقاء زمانًا طويلاً قبل أن تتحلل: غير باقية، فحينئذٍ تَمَكَّنَ وقوع هذه الحُجَّة في عقلِهِ وقلبه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾: أي فلما اتضح له ذلك، ورآه بعينه، وظهرتْ له أنوارُ ولايةِ الله في قلبه: ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ أي أعترفُ ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فهذا مثالٌ آخَر لِمَا ذكرَهُ اللهُ مِن إخراجه لأوليائه مِن ظلمات الكُفر إلى نور الإيمان.

الآية 260: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾: أي واذكُر حين سألَ إبراهيمُ ربَّهُ أن يُريَهُ طريقة الإحياء كيف تتم، فـ ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ بعد؟ ﴿قَالَ بَلَى﴾ أنا مؤمن، ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: أي لأزدادَ يَقينًا على يَقيني، ولِكَي يَسْكُنَ قلبي ويهدأ من التطلع والتشوق إلى معرفة الكَيْفِيَّة، ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾: أي فاضْمُمْهُنَّ إليك واذبحْهُنَّ وقطعْهُنَّ ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: أي ثم نَادِ عليهِنَّ يأتينَكَ مُسرعَات، ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

♦ ورغمَ أنه كان مِن المُتوقع – بعدَ أنْ أراهُ اللهُ تعالى هذه القدرة – أن يقول له: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ على كل شيءٍ قدير﴾، ولكنَّ اللهَ تعالى أرادَ أن يُوَضحَ لإبراهيم عليه السلام أنه – سبحانه – لا يَهدي إلا مَن طلبَ منه الهداية بقلبٍ صادق، كما قال تعالى عن فِتيَة الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ فاللهُ تعالى أخبرَ أنهم لَمَّا آمَنوا: زادَهُم هُدًى على هُدَاهُم، وأنَّ إيمَانَهُم كانَ سببَ هِدايتِهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ ولذلك سألَ اللهُ تعالى إبراهيمَ – ابتداءً –: ﴿أَوَلَمْ تؤمن﴾؟، فلما قال له إبراهيم: ﴿بلى﴾ مؤمن: أجابَهُ اللهُ لِمَا طلب؛ لأنه كان يَعلمُ أنَّ إبراهيمَ كانَ مُتيَقنًا بإخبار الله تعالى له، ولكنه أحَبَّ أن يُشَاهِدَ ذلك عيَانًا لِيَحْصُلَ له مَرْتَبَة: (عَيْن اليَقين). وأما المُرتاب؛ فإنه لا يَهدِيهِ اللهُ أبدًا، بل يُضِلهُ، ويَزيدُهُ ضلالاً على ضلالِه، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ فلذلك يَنبغي للعبد – إذا أُشكِلَ عليهِ أمرٌ ما – أنْ يُصَحح نِيَّتَهُ فيَقول: (أنا أريدُ أن أفهم، أنا قد التَبَسَ عَليَّ الأمر)، فإذا صَدَقَ في ذلك، فوَاللهِ – الذي لا إلهَ غيرُه – لَيُفهِمَنَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيُعَلمَنَّه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إن تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ﴾ (والحديث في صحيح الجامع برقم: 1415)، وقال اللهُ تعالى في الحديث القدسي: ﴿أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ إِنْ خَيْرًا فخَيْر، وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ﴾ (والحديث في صحيح الجامع برقم: 1905).

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

18. تفسير الربع الثامن عشر من سورة البقرة (*)

الآية 261: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في الجهاد، وجميع أنواع الخير: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ بُذِرَت في أرضٍ طيبة، فـ ﴿أَنْبَتَتْ﴾ هذه الحبة: ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ﴾ منها ﴿مِائَةُ حَبَّةٍ﴾، فبهذا تكون الحبة الواحدة قد أثمرت سبعمائة حبة، وهكذا الدرهم الواحد ينفقُه المؤمنُ في سبيل الله: يُضاعَف له إلى سبعمائة ضعف، وقد يضاعفُه اللهُ إلى أكثر من هذا؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وذلك بحسب ما يكون في قلب المُنفِق من الإيمان والإخلاص التام، وبحسب نَفْعِ نفقته، ووقوعها موقعَها، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ في فضله وعطائه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يَستحق هذه المُضاعَفة؛ لأنه سبحانه – وحده – المُطَّلع على نيَّات عباده، يَعلم المخلص من غيره؛ إذ إنه سبحانه لا يَقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، وقال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح البخاري –: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)؛ بمعنى: أن الأعمال تُقبَل بحسب النيات، فما كانَ لله تعالى: فإنه يقبله، وما كان لغيره: فإنه يردُّه على صاحبه.

♦ هذا، وقد عرَّف العلماءُ الإخلاصَ بتعريفاتٍ كثيرة، ولكنْ مِن أنفع هذه التعريفات للعبد أن الإخلاص هو: (تَغميضُ القلب عن كل ما سِوَى الرَبّ)؛ بمعنى أن يَتناسَى العبدُ نظرَ الخلق إليه، ويُهَوِّن ثنائهم عنده، فيَعلم أنهم لو مدحوه: ما رفعوه، ولو ذمُّوه: ما خفضوه، إنما الذي يَرفع ويَخفض هو اللهُ عز وجل، فيَعظُمُ بذلك ثناءُ الله عندَه، وينشغل بنظره سبحانه إليه، وبسماعه له، فبهذا لا يَرجو إلا رحمته، ولا يَخشى إلا عذابه؛ ولذلك ينبغي – قبل أن يعمل العبد العمل – أن يسأل نفسه سؤالاً واحدًا: (ماذا أريد من وراء هذا العمل؟)، والجواب في كلماتٍ ثلاث: (أريد حسنات فقط)، (فلا أريد من البشر شيئًا؛ إنما أعمل – فقط – من أجل الجنة ونعيمها).

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

♦ واعلم أنّ هناك أمورًا دقيقة جدًّا في مسألة الإخلاص والرياء، تجعل العبد لا يَحكم على نفسه بالإخلاص أبدًا، ولا يُحسِنُ الظن بنفسه ولا بعمله، بل يعمل وهو خائفٌ ألاَّ يكون مخلصًا، فيأتي يوم القيامة فيجدُ عملَه هباء منثورًا، فعلى سبيل المثال: (رجلٌ عَلِمَ أن أخاه مريض، فذهب لزيارته، ولكنْ لماذا زاره؟ لأنّ صديقه سوف يُعاتبه إن لم يَزُره، فزاره مِن أجل رفع العتاب عن نفسه، ولم يَزُره لله)، فهل هذا يتساوى مع من زارَهُ لأنه يحبُّه في الله، ولكي يدعو له، ويَرقيه بالرُقية الشرعية، ويواسيه بالكلام الطيب ليخفف عنه، وليشتري له طعاماً أو فاكهة ينوي بها (إطعام الطعام، وإدخال السرور على قلب مسلم)؟

♦ وهناك مثال آخر: (شخصٌ أُهْدِيَ إليه بصندوق كبير من الفاكهة، فقال: (إن الصندوق كبير جدًّا، ماذا سأفعل بهذا كله؟ سآخذ من الصندوق ما يَكفيني، وأتصدَّق بالباقي)، وبالفعل، تصدَّق بجزء من الصندوق، ثم لَمَّا جلس يأكل: وجد أن الفاكهة حلوة جدًّا، فقال في نفسه: (لو كنت أعرف أنها حلوة هكذا، ما كنت تصدَّقْتُ بهذا كله!)، فهل هذا يتساوى مع من فرح أنه تصدَّق بهذه الفاكهة الحلوة؛ لعلَّها تنالُ عند اللهِ القبول، ولأنّ مَن أخذها سوف يَفرح بها كما فرح هو بها؟).

♦ فكل هذه أعمال قلب يَغفل الكثير عنها، ولعل هذا هو المقصود من قول بعض السلف: (رُبَّ عمل صغير تُعظِّمُه النية، ورُبَّ عمل كبير تصغِّره النية).

♦ ولكنْ قد يقول قائل: (إنني أجتهد في أن أُخْلِص العمل لله، ولكنْ يأتي الشيطان فيقول لي: (أنت لستَ مُخلِصًا، أنت تكذب على نفسك، وتفعل ذلك من أجل الناس)، فيُحبطني بذلك عن إكمال العمل، فماذا أفعل؟)، والجواب: أن تستعيذ باللهِ منه، ثم تقول له – على سبيل دفع مجادلته ووسوسته –: (نعم أنا مُرَاءٍ، أسألُ اللهَ أن يتوب عليَّ، ليس لك شأن)، ثم تُخلص العمل لله جل وعلا، بأنك لا تريد من ورائه إلا الحسنات.

♦ وقد يقول قائل: (حينما يسألُني سائل، فإنني – عندما أُخرج الصدقة لأعطيها له – أجد مَن يوسوس لي بأنني فعلتُ ذلك من أجل أنني استحييتُ من السائل، وليسَ لله، أو أنّ ذلك السائل قد لا يَستحق الصدقة؟)، والجواب: أن تجدِّد النية – وقتها – بأنك تقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في أنه كان لا يَرُدُّ سائلاً، ثم تتحرى – قدر المستطاع – أن تعطي الصدقة لمن يَستحقُّها، وسوف يَقبلُها الله تعالى بفضله ومشيئته، وعليك أن تسأل الله دائمًا أن يرزقك الإخلاص.

الآية 262: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ أي تفضُّلاً على مَن أعطوه، ﴿وَلَا أَذًى﴾ بقولٍ أو فِعل يُشعِرُهُ بالتفضُّل عليه.

♦ والمَنُّ: هو ذِكر الصدقة وتعدادها على مَن تُصدِّق عليه (وذلك على سبيل التفضُّل عليه)، وقد يَطلب منه فِعل خدمات مقابل هذا الإحسان، وكذلك قد يكون المَنُّ بالقلب، كأن يفعل له هذا الرجل – الذي تُصدِّق عليه – موقفًا يُغضبه، فيقول المتصدِّق في قلبه: (هل نَسِيَ كل ما فعلتُهُ معه؟ إنه لا يستحق ذلك)، وأما الأذى: فهو التطاول على المتصدَّق عليه، وإذلاله بالكلمات التي تمسُّ كرامتَه، كأن يَشتري له حذاءً جديدًا، ثم يقول له أمام الناس: (لا تقلق، أتلِفِ الحذاءَ، وأنا أحضر لك غيره)، واعلم: أنّ المَنَّ مِن كبائر الذنوب، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم –: (ثلاثة لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامة، ولا يُزكيهم، ولهم عذابٌ أليم – وذكَرَ منهم –: والمَنَّان الذي لا يُعطِي شيئًا إلا مَنَّهُ).

♦ فهؤلاء الذين اجتنبوا المَنّ والأذى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وهذه هي السعادة الحقيقية؛ لأنّ حياتهم قد خلت من الخوف والحزن، وحَلَّ محلَّها الأمنُ والسرور.

الآية 263: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: أي كلامٌ طيب تقوله للسائل، مِثل: (الله يُوسع عليك، الله يرزقُك من فضله)، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: أي وعفوٌ عما صدر منه من إلحاح: ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا﴾ من المتصدَّق ﴿أَذًى﴾ وإساءة، ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقات العباد، ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجلهم بالعقوبة.

الآية 264: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا﴾: أي لا تُذهبوا ثوابَ ﴿صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾، فهذا حاله في إبطال صدقاته ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾: أي يُخرِجُ مالَه ليراه الناس، فيُثنوا عليه، أو ليَدفعَ عن نفسه لومَهم ومذمَّتَهم إذا لم يتصدق، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ لأنه لا يريد بعمله وجه الله ولا الدار الآخرة، ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ أي حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ أي مطر غزير، ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾: أي فأزاح المطرُ الترابَ عن الحجر، فتركه أملس عاريًا ليس عليه شيء، فكذلك تذهب صدقات هؤلاء المرائين، و ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾: أي ولا يجدون عند الله شيئًا من الثواب على ما أنفقوه؛ وذلك لأنهم وضعوا النفقة في غير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

موضعها، وجعلوها لمخلوق مثلهم لا يَملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، وانصرفوا عن عبادة مَن تنفعهم عبادتُه، فصرف الله قلوبهم عن الهداية؛ فلهذا قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: أي لا يُوفِّقهم لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها، (وفي هذا تحذير شديد للمؤمنين أن يَسلكوا مسالك الكافرين في إنفاقهم وأعمالهم، فإنها باطلة مردودة عليهم).

♦ واعلم أنه يُستدَلّ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾: على أن الأعمال السيئة تُبْطِلُ الأعمال الحسنة، فكما أن الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات، فالسيئات أيضًا يُذْهِبْنَ الحسنات؛ ولذلك ينبغي للعبد أن يحافظ على حسناته – التي تَعِبَ في تحصيلها – من كل ما يُفسدها ويُضيعها.

♦ وقد ضرب الله مثلاً بهذه الصخرة الملساء التي عليها التراب؛ لأنّ الأرض الصخرية إذا رآها الفلاَّح ظن أنها أرض زكية قابلة للنبات، فيُعجبُه نعومة تربتها وصفائها، فيبذر فيها رجاء الحصاد، ولكنْ إذا نزل عليها المطر الشديد وذهب بالبذر معه، فإنه يُصابُ بخيبة الأمل (فكذلك المنفِقُ مالَه رئاء الناس، والذي يعمل أعمالاً تفسد حسناته).

الآية 265: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي طلبًا لرضا الله تعالى، ﴿وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: أي وتيقُّنًا بصدق وعده سبحانه على إثابة المنفقين، ومضاعفة حسناتهم، ومغفرة ذنوبهم، (وليس على وجه التردد وضعف النفس في إخراجها)، فمَثَلُ نفقة هؤلاء ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: أي بُستان كثير الأشجار ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: أي موجود بأرض عالية طيبة، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: أي أصابت هذه الجنةَ أمطارٌ غزيرة ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾: أي فتضاعفَتْ ثمراتها، ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: يعني وإن لم تسقط عليها الأمطار الغزيرة، فيكفيها رذاذ المطر لتعطي الثمرة المضاعَفة، وكذلك نفقات المخلصين تُقبَل عند الله وتُضاعَف – قلَّتْ أم كثرت - ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ومُطَّلِعٌ على سرائركم، فيُثيبُ كُلاًّ بحسب إخلاصه.

الآية 266: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ أيها المنفقون أموالهم رئاء الناس، وكذلك مَن عمل عملاً لوجه الله، ثم عمِلَ أعمالاً تُفسدُه، فهل يحب أحدهم ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾: أي بستان عظيم ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فتسقيها من غير تكلفة و ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ﴾ أنواع ﴿الثَّمَرَاتِ﴾ ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾: أي وقد تقدمت به السنّ، وأصبح شيخًا كبيرًا، فضعُف عن العمل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وزاد حِرصُه، ومع هذا العجز: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾: أي وله أولاد صغار في حاجة إلى هذا البستان، وهم ضعفاء لا يقدرون على الكسب وجلب عيشهم بأنفسهم، ولا يعاونون أباهم الكبير، بل هم عبء وَهَمّ ثقيل عليه، فبينما هو كذلك: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾: أي فهبَّتْ على هذه الجنة – التي هي مصدر عيشهم – ريحٌ شديدة، فيها نارٌ مُحرقة فأحرقتها، فكيف يكون حال ذلك الرجل الكبير وأولاده من الهم والغم والحزن؟ (وهكذا الذي يُنفق أموالَه رئاءَ الناس، والذي يَعمل العمل لوجه الله ثم يُفسده، فإنّ أعمالهم بمنزلة بذر الزروع والثمار، ولا يزالون كذلك حتى يحصل لهم من أعمالهم جنة موصوفة بغاية الحُسن والبهاء، ثم يأتي ذلك الرياء، وتلك المُفسِدات التي تفسد الأعمال، فتكون بمنزلة الإعصار (وهي الريح القوية التي تستدير ثم ترتفع في الجو) فتحرق تلك الأعمال).

♦ فبذلك يخسرون حسناتهم يوم القيامة، في وقتٍ هم أحْوَجُ إليها من حاجة هذا الرجل وأطفاله الصغار لهذه الجنة، فإنّ العبد أحْوَجُ ما يكون لعمله إذا مات وكان بحالة لا يَقدِرُ معها على العمل، فيجد عمله الذي يضع أمله عليه قد صار هباءً منثورًا، فلو تصور الإنسان هذه الحالة، وكان له ذرة عقل، لم يُقدِمْ على ما فيه مَضرته وحسرته، ولكن ضعف الإيمان والعقل يُصيِّر صاحبه إلى هذه الحالة؛ فلهذا حَثَّ تعالى على التفكر، فقال: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾: أي بِمثل هذه الأمثلة يُبَيِّنُ اللهُ لكم ما ينفعكم كي تتأملوا، فتُخلِصوا في نفقاتكم، وتحافظوا على حسناتكم.

الآية 267، 268: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أي من الحلال الطيب الذي كسبتموه، ومِن جيِّد أموالكم وأصلحها، ﴿وَمِمَّا﴾: أي وأنفقوا – أيضًا – مما ﴿أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ من الحبوب وأنواع الثمار مما تحبونه وترضونه لأنفسكم، ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾: أي ولا تقصدوا الرديء الذي لا ترضَوْنه لأنفسكم فتنفقونه، ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾: يعني وأنتم لا تأخذون هذا الرديء من الناس إلا أن تغضوا أبصاركم عن النظر في رداءته، وتتسامحوا في أخذه، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عنكم وعن صدقاتكم، وإنما نَفْع صدقاتكم وأعمالكم عائدٌ إليكم، واعلموا أنه سبحانه ﴿حَمِيدٌ﴾: أي مُستحقٌّ للثناء في كل حال؛ لِمَا أفاض – ويفيض– من النعم على خلقه، واعلموا - أيضًا – أن هذا البخل واختيار الرديء للصدقة إنما مصدره ﴿الشَّيْطَانُ﴾ الذي ﴿يَعِدُكُمُ﴾: أي يخوِّفكم ﴿الْفَقْرَ﴾ ليَمنعكم من الإنفاق في سبيل الله،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾: أي ويأمركم بارتكاب الفواحش، ومنها: البخل، والشحُّ، ويدعوكم إلى مخالفة أوامر الله تعالى في النفقات وغيرها، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ﴾ على إنفاقكم ﴿مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لذنوبكم، وتطهيرًا لعيوبكم، ﴿وَفَضْلًا﴾: أي ورزقًا واسعًا، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ في فضله، ﴿عَلِيمٌ﴾ بالأعمال والنيات، وعليمٌ بمن يَستحق فضله وعطاءه.

الآية 269: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (والحِكمة هي الإصابة والسَداد في القول والفِعل، وهي تتمثل في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله)، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: يعني ومَن أنعَمَ اللهُ عليه بذلك فقد أعطاهُ خيرًا كثيرًا، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: يعني وما يَتذكر هذا ويَنتفع به إلا أصحاب العقول المُستنيرة بنور الله وهدايته.

الآية 270: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ يعني أو ألزمتم أنفسكم بشيءٍ من مال أو غير ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾؛ لأنه المُطَّلِع على نِيَّاتكم، وسوف يُثيبكم على ذلك، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾: أي واعلموا أنّ مَن منع حقَّ الله فهو ظالم، والظالمون ليس لهم أنصارٌ يمنعونهم من عذاب الله.

♦ واعلم أن النذر ثلاثة أنواع: (النذر المشروط بشرط معين)، كأن يقول العبد مثلاً: (إنْ شَفَى اللهُ فلانًا: فللهِ عَلَيَّ أن أصوم ثلاثة أيام)، وهذا النوع مكروه؛ لأنه لا يَصدر إلا من البخيل الذي يَشترط على ربه، والنوع الثاني: هو (النذر المُطْلَق) أي بدون شرط أو مقابل؛ كأنْ يقول العبدُ مثلاً: (لله عليَّ أن أصوم ثلاثة أيام، أو لله عليَّ أن أقرأ نصف جزء من القرآن يومياً، أو لله عليَّ ألاّ أفعل المعصية الفلانية أبدًا، أو لمدة أسبوع مثلاً)، وذلك على سبيل إلزام النفس، وتربيتها، وترويضها على فِعل الطاعات واجتناب المعاصي، وهذا النوع هو قربة من أفضل القُربات، وأما النوع الثالث: فهو (النذر لغير الله تعالى)، كالنذر للأولياء والصالحين وغير ذلك، وهذا شرك.

♦ واعلم أنّ الإنسانَ إذا نذرَ نذرًا جائزًا: (سواء كانَ نذرًا مُطلَقًا، أو كانَ نذرًا مَشروطًا) فعليه أن يُوفِي بنذره، فإذا نقضَ نذرَهُ، فليَعلم أنَّ كفارة النذر هي نفسها كفارة اليمين، وأمّا نَذْرُ الشِّرك، فلا يَجوز للإنسان أن يَفعله ولا أن يُوفِي به.

الآية 271: ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾: يعني إن تُظهروا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ أمام الناس، وكنتم تقصدون بها وَجْهَ الله تعالى، وحَثّ الناس على الصدقة: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾: أي فنِعْمَ تلك الصدقة التي أظهرتموها لِيَقتدي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الناس بكم، فيتصدقوا مثلكم، فيكون ذلك في مصلحة الفقير، ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي أفضل لكم من الإنفاق أمام الناس؛ لأن ذلك سيكون أبعد لكم عن الرياء، ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: أي وبسبب الصدقة – مع الإخلاص – يَمحو الله مِن ذنوبكم، ويُلاحَظ أنه تعالى لم يقل: (ويكفر عنكم سيئاتكم)؛ لأنّ حقوق العباد لا تكَفِّرها الصدقة، إلا إذا وهب المتصدق ثواب الصدقة لهم (بنية أن يَرُدّ بذلك حقوقهم)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعلم دقائق الأمور.

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

19. تفسير الربع الأخير من سورة البقرة (*)

الآية 272: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾: أي لستَ مَسؤولاً عن توفيق الكافرين للإيمان وصالح الأعمال؛ وإنما عليك فقط بيان الطريق المستقيم، وهذا هو الجَمْع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (أي هِداية التوفيق)، وبين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (أي هِداية الإرشاد والبيان)، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يَشرحُ صدرَ مَن يَشاءُ لِدينِهِ ويُوفقه له.

♦ واعلم أن سبب نزول هذه الآية، أنه لما رَغَّبَ اللهُ تعالى المؤمنين في صدقة التطوع (وهي الصدقة المُستَحَبَّة، غير الزكاة المفروضة)، جاء غير المؤمنين – من اليهود وغيرهم – فسألوا مِن هذه الصدقة، فتحرَّج الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من التصدق عليهم، فأذهَبَ اللهُ عنهم هذا الحرج، وأذِنَ لهم بالتصدق على غير المؤمنينَ ولو لم يهتدوا، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾: يعني وما تُنفِقُوا مِن مالٍ: تُثَابُوا عليه في الدنيا والآخرة، سواء كان على مؤمن أو على كافر، ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾: يعني والمؤمنون لا يُنفقون إلا طلبًا لَمرضاة اللهِ تعالى وَجَنَّتِه والنظر إلى وجهه الكريم، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي مِن مالٍ – مخلصين لله – ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: أي يُرَدّ ثوابه كاملاً إليكم، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: يعني وأنتم لا تُنْقَصُون شيئًا من ذلك، حتى وإن كانَ قليلاً تحتقرونَ أن تتصدقوا به، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في الصَّحِيحَيْن –: (اتقوا النارَ ولو بِشِقِّ تمرة)؛ أي ولو أن تتصدقوا بنصف تمرةٍ، أو ما يُعادلها في القِيمة.

الآية 273: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: أي اجعلوا صدقاتكم لأَوْلى الناس استحقاقاً لها، وهم فقراء المسلمين ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي الذين حَبَسوا أنفسهم مِن أجل طاعة الله (كالاستعداد للجهاد وغير ذلك)، وكذلك مَن حُبسوا ومُنعوا من التصرف في أموالهم (لأنهم هاجروا من بلادهم)؛ لذلك

(*) وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي"، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبو بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

– واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾: أي لا يستطيعون السفر للتجارة أو للعمل (طلبًا للرزق)؛ بسبب حصار العدو لهم، وَهُم ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾: يعني والذي لا يَعرفهم: يَحسبهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي بسبب تعففهم عن السؤال، ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: أي تعرفهم بعلامات الاحتياج فيهم (كاصفرار وجوههم وثيابهم البالية)، ومع ذلك فهم ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾: أي لا يسألون الناس بالكُلِّيَّة، وإن سألوا اضطرارًا: لم يُلِحُّوا في السؤال.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ وسيَجزِي سبحانه عليه أوفر الجزاء يوم القيامة، فقد أخبر تعالى أنه يُضاعف ثواب الصدقة إلى سبعمائة ضعف، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الصدقة لَتُطْفِئُ عن أهلها حَرَّ القبور، وإنما يَسْتَظل المؤمن يوم القيامة في ظِلِّ صَدَقَتِه) (انظر السلسلة الصحيحة ج: 7)، وقال صلى الله عليه وسلم: (والصدقة تُطفِئُ الخَطيئة كما يُطفِئُ الماءُ النار) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 5136).

الآية 274: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ﴿سِرًّا﴾ أي في الخَفاء ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ أي جَهراً أمام الناس لِيُشَجِّعوهم على الصَدقة ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي لهم ثوابٌ عظيم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (فذلك التشريع الإلهي الحكيم هو مِنهاج الإسلام في الإنفاق، فقد جَعَله اللهُ تعالى سَدّاً لحاجة الفقراء في كرامةٍ وعِزَّة، دونَ أن يضطروا إلى السؤال، وكذلك جَعَله تطهيراً لذنوب الأغنياء وتَزكيةً لنفوسهم وأخلاقهم).

الآية 275: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾: أي الذين يتعاملون بالربا – وهو الزيادة على أصل الدَّيْن – يعني يأخذون من الناس مالاً زائدًا عن قيمة الدَّيْن الذي أعطوه لهم، والقاعدة الشرعية تقول: (كل قرضٍ جَرَّ نفعًا، فهو ربا)؛ يعني أيّ قرْض كان مِن ورائِهِ زيادة المال المُقترَض، أو تَسبَّبَ في حصول مَنفعة عادت على صاحب الدَّيْن، فهذا القرض يكونُ ربًا، وذلك كأن يَقترض شخصٌ ألفَ دِرهم مِن شخص آخر، فيقول له صاحب المال: (تَرُدُّهم إليَّ ألفًا ومائتي درهم) (أو تردهم ألفًا فقط، بشرط أن تفعل لي الخِدمة الفلانية) أو غير ذلك.

♦ فهؤلاء ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ في الآخرة مِن قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ أي يَضربه ويَصرعه ﴿الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ أي من الجنون، فيقومون من قبورهم حَيارَى سُكارَى مُضطربين، مُتوقعين لِسوء العاقبة وعظيم العذاب، و﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾؛ لأنَّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كِلَيْهما – بزعمهم – يؤدي إلى زيادة المال، وهذا القول لا يَصدر إلا مِن جاهلٍ عظيمِ العِناد، فكما تقلبتْ عقولهم وقالوا ذلك، جازاهم اللهُ مِن جِنس أحوالهم، فصاروا يَخرجون من قبورهم كالمجانين.

♦ ثم رَدَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾؛ وذلك لِما في البيع والشراء مِن نفعٍ للأفراد والجماعات، ولِما في الربا من استغلال وضياع وهلاك، ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ بالنَّهْي عن الربا ﴿فَانْتَهَى﴾ عنه ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾: أي فله ما مضى من المال قبل أن يَبلغه التحريم، ولا إثم عليه فيه، وليس عليه أن يَرُدَّ الأموال التي سبقت توبتَه، ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فيما يُستقبَل من زمانه، فإن استمرَّ على توبته، فإنّ اللهَ لا يُضيعُ أجر المحسنين، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى الربا، ففعَلَهُ بعد بُلوغِهِ نَهْي اللهِ عنه، فقد قامت عليه الحُجَّة، ووجبتْ عليه العقوبة؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وقد عُلِمَ – بالكتاب والسُّنَّة وإجماع سَلف الأمَّة – أنّ التوحيد يَمنع صاحبه من الخلود في النار، فبالتالي يكون المعنى: (فلولا ما مع الإنسان من التوحيد، لَصارَ أَكْلُهُ للربا صالحًا لخلوده في النار)؛ ولهذا يجب أن يَحذر – أشد الحذر – مَن يتعامل بالربا، أو يُعِين غيره على فِعل الربا؛ فالأمرُ خطير وليس بالهَيِّن.

الآية 276: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾: أي يُذهِبُ اللهُ الربا كله، أو يَحرِم صاحبَه بَركة مالِهِ فلا يَنتفع به، ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾: أي يُنَمِّيها ويُكَثرها، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم – كما في الصَّحِيحَيْن –: (مَن تصَدَّقَ بعدل تمرة – (يعني بمقدار أو بقيمة تمرة) – مِن كَسْبٍ طيب، ولا يَصعد إلى اللهِ إلا الطيب، فإنَّ اللهَ يَتقبلها بيمينه، ثم يُرَبِّيها لصاحبه كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل) (والفَلُوُّ: هو ولد الفَرَس)، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ مُصِرٍّ على كُفره، مُسْتَحِلٍّ أكل الربا، كَفَّارٌ لِنعم اللهِ عليه، لا يُؤدي ما أَوْجَبَ عليه من الصدقات، ﴿أَثِيمٍ﴾: أي مُصِرّ على الإثم وأكْل الحرام.

الآية 277: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني وأدَّوا الصلاة في أوقاتها – باطمئنانٍ وخشوع – كما أمَرَ اللهُ ورسوله ﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾: أي وأخرَجوا زكاة أموالهم، أولئك ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يَستقبلونه مِن أمْر الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 278: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ أي واتركوا طلبَ ما بَقِيَ لكم من زيادة على أصول أموالكم - التي كانت لكم عند الناس - قبل تحريم الربا، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: يعني إن كنتم مُحققين إيمانكم قولاً وعملاً.

الآية 279: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾: يعني فإن لم تنتهوا عمَّا نهاكم اللهُ عنه، وظللتم تطلبون هذه الزيادة على أصل الدَّيْن: ﴿فَأْذَنُوا﴾: أي فتيَقنوا ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾: يعني وإن رجعتم إلى ربكم وتركتم أخْذ الربا: ﴿فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾: أي فلكم أَخْذُ ما لكم مِن ديون دونَ زيادة، وبهذا ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ أحدًا بأخْذ ما زاد على رؤوس أموالكم، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: أي ولا يَظلمكم أحد بإنقاصكم شيئًا مما أقرضتموه.

الآية 280: ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ المَدِين (الذي عليه الدَّيْن) ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾: أي غير قادر على السداد: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾: أي فأمْهِلوه إلى أن يُيسِّر اللهُ له رزقًا فيَدفع لكم مالكم، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾: يعني وأن تتركوا للمَدِين رأس المال كله أو بعضه ولا تُطالِبوه به: فهذا ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، فقد قَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ) (والحديث في صحيح الجامع برقم: 6106)، وقال النَّبي صلى الله عليه وسلم - كما في الصَّحِيحَيْن -: (كانَ تاجرٌ يُدَاين النَّاس، فإذا رأى مُعْسِرًا، قال لصِبيانه: تجاوزوا عنه؛ لعلَّ اللهَ أن يَتجاوز عنَّا، فتجاوَزَ اللهُ عنه)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم -: (مَن سرَّه أن يُنجيه اللهُ مِن كُرَب يوم القيامة، فليُنفِّس عن مُعسِر (يعني فلْيُؤخِّر مُطالبته عن المَدِين إلى مُدَّةٍ يَجد فيها مالاً)، أو يَضع عنه)؛ يعني أو يَترك له رأس المال كله - أو بعضه - ولا يُطالبه به.

الآية 281: ﴿وَاتَّقُوا﴾ أي واحذروا - أيها الناس - ﴿يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ وهو يوم القيامة، حيثُ تُعرَضون على ربكم ليحاسبكم، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاءَ ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ مِن خيرٍ أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

الآية 282: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ أي إذا تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يعني إلى وقتٍ معلوم، وهو وقت السَداد، ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾: أي فاكتبوا هذا الدَّيْن؛ وذلك حِفظًا للمال ودَفعًا للخِلاف، ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾: يعني ولْيَقُم بالكتابة رجل أمين، يَعدل بينهما، فلا يَميل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لأحدهما – لِقرابةٍ أو صداقةٍ أو غير ذلك – ويَجب أن يكون عارفًا بكتابة الوثائق وما يَحصل به التَوَثُّق، وأن يَستطيع أن يُلزِم كل واحد منهما – في هذه الوثائق – بالحق الذي له أو عليه؛ لأنه لا سبيلَ إلى العدل إلا بذلك، ﴿وَلَا يَأْبَ﴾: أي ولا يَمتنع ﴿كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾، فكما أحسَنَ اللهُ إليه بتعليمه الكتابة، فليُحسِنْ إلى عباد الله المحتاجين إلى كتابته، ولا يَمتنع عن الكتابة لهم، بل ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾: أي ولْيُقم المَدِين – الذي عليه الدَيْن – بإملاء الكاتب ما عليه مِن الدَّيْن؛ (لأنّ ذلك الإملاء يُعتبَر اعترافًا منه بالدَّيْن الذي عليه)، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي ولا يُنْقِص شيئًا مِن الدَّيْن الذي عليه أثناء الإملاء.

﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ وهو المَدين ﴿سَفِيهًا﴾: أي لا يُحسن التصرف في المال كالمُبَذر، ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾: يعني أو كانَ صغيرًا أو مجنونًا، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾: يعني أو كان لا يستطيع النُّطق وإملاء ما عليه بنفسه، بسبب خَرَس به أو عدم قدرة كاملة على الكلام: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾: يعني فليَقم وَلِيُّ المَدين (وهو الذي يتولى شؤونه) بالإملاء نِيابةً عنه، بلا زيادة ولا نقصان، ولا غش ولا احتيال.

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾: أي اطلبوا شهادة رجلين مُسلِمَيْن بالِغَيْنِ عاقلَيْن مَشهود لهما بالعدل، (واعلم أن العدل يُشترَط فيه العُرف في كل مكان وزمان، فكل مَن كان مَرْضِيًّا مُعتبَرًا عند الناس: قُبِلَتْ شهادته) ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾: يعني حتى إذا نَسِيَتْ ﴿إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ أي فتُذكِّرها الأخرى، ﴿وَلَا يَأْبَ﴾: يعني ولا يَمتنع ﴿الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ ليَشهدوا وقت كتابة الدَيْن (وكذلك عليهم أداء الشهادة إذا طُلِبَ منهم ذلك في أيّ وقت).

♦ واعلم أنَّ قوله تعالى: ﴿إِذَا مَا دُعُوا﴾ فيه دليل على أنه لا يَجب على الشاهد أن يَشهد إلا إذا دُعِيَ إلى الشهادة، ولكنْ وَرَدَ في السُّنَّة: (الترغيب في أداء الشهادة ولو لم يُدْعَ إليها المسلم)، خاصةً إذا توقف على شهادته إثباتُ حق من الحقوق، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم –: (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ؟ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا).

﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾: يعني ولا تَملوا ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ – أي الدَّيْن – سواء كانَ ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾ يعني إلى موعد السداد، ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي الكتابة مع الإشهاد ﴿أَقْسَطُ﴾: أي أعدل ﴿عِنْدَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اللَّهِ﴾ في شرعِهِ وهَدْيِه، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾: أي وأعظمُ عَونًا على إقامة الشهادة وأدائها، وأثبَت لها وأكثر تقريرًا؛ لأن الكتابة لا تُنسَى، والشهادة تُنسَى، أو قد يموت الشاهد، أو يَغيب عن الإدلاء بشهادته، ﴿وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾: يعني وأقرب إلى نفي الشك في قيمة الدَّيْن وموعد سداده، بخلاف الإشهاد بدون كتابة ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: يعني إن كانت المسألة مسألة بيع وشراء، وذلك بأخذ سلعة ودفع ثمنها في الحال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: يعني فلا حاجة إلى الكتابة، ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: أي ورغم أنه لا حرج أو إثم يَترتب على ترْك الكتابة في البيع، إلا أنه يُستحَب الإشهاد على تلك التجارة؛ مَنعًا للنِّزاع والخِلاف، مِثل أن يبيع أحدٌ دارًا أو بستانًا لأحد، أو غير ذلك.

﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: أي واعلموا أنه لا يَجُوز لصاحب الحق ومَن عليه الحق: الإضرار بالكُتَّاب والشهود، وذلك بأن يُكلفوهم ما لا يَقدرون عليه، كأنْ يَدعوهم ليَشهدوا ويَكتبوا في مكان بعيد، أو أن يَطلبوا منهم أن يَكتبوا زُورًا أو يَشهدوا به، أو أن يُلزِموهم الكتابة والشهادة وهم في أشغالهم، فإذا تَعَذَّرَ ذلك منهم لانشغالهم، فليَطلُبا كاتبًا وشاهدًا غيرهما، وكذلك لا يجوز للشاهد والكاتب أن يُضِروا بصاحب الحق، وذلك بالامتناع عن الكتابة والشهادة بدون عذر.

﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ ما نُهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ - أي خروج عن طاعة الله - وعاقبة ذلك الفسوق سوف تَحِلُّ عليكم، وتلحق ﴿بِكُمْ﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾: يعني وكما عَلَّمكم اللهُ هذا العِلم النافع، يُعلمكم جميع ما يُصلِح دُنياكم وأُخراكم، واعلم أنَّ قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾: فيه وَعْدٌ منه تعالى بأنْ يَجعل للمُتقي نورًا في قلبه، يَفهمُ به ما يَتلقاهُ من العلم فهمًا صحيحًا، قال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي نورًا وعِلمًا تُفرقون بِهِ بين الحق والباطل، والهُدى والضلال، والسُّنَّة والبِدعة، والحلال والحرام ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

الآية 283: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾: يعني وإذا كنتم مُسافرين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ يَكتب لكم، أو لم تجدوا أدوات الكتابة: ﴿فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾: يعني فليَضَعِ المَدِين عندَ صاحب الحق شيئًا يَقبضه منه، ويكونُ رَهنًا عنده حتى يأتيه حقه، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾: يعني فإنْ وَثِقَ بعضكم ببعض، فلا حَرَجَ في ترْك الكتابة والإشهاد والرَّهن، ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾: أي ويَبقى الدَّيْن أمانة في ذمَّة المَدِين إلى أن يؤديه لصاحب الحق (وعلى هذا فإذا وُجِدَ الأمانُ والثقة بين الدائن والمَدِين، فلا تَجِب الكتابة، بل تُستَحَب فقط).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾: يعني ويَجب على المَدِين أن يَخافَ اللهَ تعالى ولا يَخونَ صاحبه، فإذا أنكَرَ الدَيْن الذي عليه، وكانَ هناك مَن حضر وشهد، فعليه أن يُظهِر شهادته، ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾: أي فهو صاحبُ قلبٍ غادر فاجر، (وقد نُسِبَ الإثم إلى القلب؛ لأن الكِتمان مِن عمل القلب)، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، وقد اشتملت هاتان الآيتان على حِكَمٍ عظيمة، ومصالحَ عَميمةٍ، دَلَّتْ على أنّ الخَلق لو اهتدوا بإرشاد الله لهم، لَصَلحَ دِينهم ودنياهم، فقد اشتملتْ على العَدل والمَصلحة، وحِفظ الحقوق وقطع المُشاجَرات، وانتظام أمْر المَعاش، فللهِ الحمدُ كما يَنبغي لجلال وجهه وعظيمِ سلطانه.

الآية 284: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلكًا وتدبيرًا وتصَرُّفًا وإحاطة، فهو سبحانه لا يَخفَى عليه شيء، ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يُعجزُهُ شيء، فأحكامُهُ تعالى تدور بين العدل والفضل، والجميع مِلكُهُ وعبيده، وهم طَوْعُ قهْرِهِ ومشيئتِهِ وتقديرِهِ وجزائِه، (وقد أكرم اللهُ المسلمين بعد ذلك فعفا عن حديث النفس وخَطَرات القلب، ما لم يَتْبَعها كلامٌ أو عمل، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لَمَّا نزلتْ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾: (دخلَ قلوبَهُم منها شيء) – أي كأنهم شَقَّ عليهم أن يُحاسبهم اللهُ على ما يدور في أنفسهم –، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قولوا: سمعنا وأطعنا وسَلَّمْنا)، فألقى اللهُ في قلوبهم الإيمان، فلمَّا فعلوا ذلك، نَسَخَها اللهُ تعالى فأنزل قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾).

الآية 285: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو القرآن، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ كذلك صَدَّقوا وعَمِلوا بالقرآن العظيم، ﴿كُلٌّ﴾ مِن الرسول والمؤمنين ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فنحن نؤمن بهم جميعًا، ولا نفرِّق بينهم في الإيمان بهم، ولكننا نُقِرُّ – أيضًا – بأنّ اللهَ قد فَضَّلَ بعضهم على بعضٍ درجات (كما أخبر سبحانه بذلك)، ﴿وَقَالُوا﴾ أي الرسول والمؤمنون: ﴿سَمِعْنَا﴾ يا ربنا ما أوحيتَ به ﴿وَأَطَعْنَا﴾ في كل ذلك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾: أي نرجو أن تغفر – بفضلك – ذنوبنا، فأنت الذي رَبَّيتنا بما أنعمتَ به علينا ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: يعني وإليك – وحدك – مَرجعنا ومصيرنا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية 286: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: يعني إنّ دِينَ اللهِ يُسر، لا مَشَقةَ فيه، فلا يَطلب اللهُ مِن عباده ما لا تُطِيقه أنفسهم، ﴿لَهَا﴾: أي لكل نفسٍ ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير، فتُجْزَى بهِ خيرًا، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر، فتُجْزَى به شرًّا.

♦ ثم عَلَّمَ اللهُ المؤمنين كيف يَدعونه بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ أي لا تعاقِبنا ﴿إِنْ نَسِينَا﴾ شيئًا مِمَّا افترضتَهُ علينا ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ في فِعْل شيءٍ نَهيتنا عن فِعله، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾: أي لا تكلِّفنا من الأعمال الشاقة ما كَلَّفتَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا مِن العُصاةِ عقوبةً لهم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ يعني ما لا نتحمله من التكاليف والمصائب.

﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾: أي فيما بيننا وبينك مما تَعلمه مِن تقصيرنا وزَلَلِنا، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾: أي فيما بيننا وبين عبادك، فلا تُطْلِعهم على مَساوئِنا وأعمالنا القبيحة، ﴿وَارْحَمْنَا﴾: أي فيما يُستقبَل، فلا تُوقِعنا – بتوفيقك – في ذنب آخر؛ ولهذا قالوا: إن المُذنب مُحتاجٌ إلى ثلاثة أشياء: أن يَعفو اللهُ عنه فيما بينه وبينه، وأن يَستره عن عباده فلا يَفضحه بينهم، وأن يَعصمه فلا يُوقِعه في ذنبٍ آخر، ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ أي مالِكُ أمْرنا ومُدَبِّرُه ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

♦ واعلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر – كما في الصَحيحَيْن – أنَّ مَن قرأ هاتين الآيتين (الأخيرتين من سورة البقرة) في ليلةٍ كَفَتاه (أي كَفَتاه مِن شر ما يُؤذيه).

****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

♦ وفي خِتام تفسير سورة البقرة نَوَدُّ أن نَذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم –: (اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا الزَّهراوَيْن: البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غَيَايَتان، أو كأنهما فِرْقان من طيرٍ صَوَاف (والمقصود أنهما تُظِلان أصحابهما يوم القيامة)، تُحاجَّان (أي تجادلان) عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة؛ فإنَّ أخْذَهَا بركة، وتَرْكَها حسرة، ولا تستطيعها البَطَلة)؛ (والبَطَلة: هم السَّحَرة؛ لأنَّ ما يفعلونه باطل)، وَهُؤلاء السَّحَرة لا يستطيعون اختراق تحصين سورة البقرة لصاحبها؛ ولذلك ينبغي للعبد أن يُداوم على قراءة سورة البقرة وأن يَتدبرها، وأن يَحفظها إن أمْكَنَه، مع مُراجَعتها باستمرار حتى لا يَنساها، وأن يَعمل بما فيها من أحكامٍ وأوامر (قدر المُستطاع)؛ وذلك حتى يُحَصِّلَ الثواب المذكور في الحديث السابق، وكذلك للتخلص من السِّحر وإبطاله وإفساده، ووقاية النفس منه بإذن الله تعالى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهرس

سلسلة كيف نفهم القرآن؟ 1
(تفسير سورة البقرة بأسلوب بسيط جداً 2
1. تفسير الربع الأول من سورة البقرة 2
2. تفسير الربع الثاني من سورة البقرة 7
3. تفسير الربع الثالث من سورة البقرة 11
4. تفسير الربع الرابع من سورة البقرة 14
5. تفسير الربع الخامس من سورة البقرة 18
6. تفسير الربع السادس من سورة البقرة 22
7. تفسير الربع السابع من سورة البقرة 26
8. تفسير الربع الثامن من سورة البقرة 30
9. تفسير الربع التاسع من سورة البقرة 34
10. تفسير الربع العاشر من سورة البقرة 38
11. تفسير الربع الحادي عشر من سورة البقرة 43
12. تفسير الربع الثاني عشر من سورة البقرة 47
13. تفسير الربع الثالث عشر من سورة البقرة 52
14. تفسير الربع الرابع عشر من سورة البقرة 57
15. تفسير الربع الخامس عشر من سورة البقرة 64
16. تفسير الربع السادس عشر من سورة البقرة 70
17. تفسير الربع السابع عشر من سورة البقرة 75
18. تفسير الربع الثامن عشر من سورة البقرة 82
19. تفسير الربع الأخير من سورة البقرة 89